رواية
لا تتركني وحيدة
إيمان عبد الواحد

لا تتركنى وحيدة

بقلم /

إيمان عبد الواحد

الفصل الأول

في ليلة من ليالي ديسمبر الباردة كانت ياسمين تسير على شاطئ البحر بمفردها ؛ حافية القدمين ترتجف برداً و هي تعقد ذراعيها حول صدرها و تتشبث بالشال الصوفي الذي تحيط به كتفيها لتشعر ببعض الدفء ..

نظرت بعيون دامعة إلى البحر الذي تزأر أمواجه في ثورة و إلى السماء الملبدة فوقها بالغيوم ؛ و إلى الشاطئ الخالي إلا منها و هي تفكر في العودة إلى شاليه جدها الذي تقيم فيه بمفردها منذ عشرة أيامٍ مضت ..

تشعر بالوحدة أكثر ألماً و قسوة من الشعور بالبرد أو الخوف ؛ و هي تفكر في أن رجال أمن القرية السياحية التي تقيم بها لا بد و أنهم يعتبرونها مجنونة ؛ فلا أحد يفكر في البقاء في شاليه في قرية بالساحل الشمالي في هذا الطقس المريع غيرها ؛ لذا كانت كل الشاليهات المحيطة بها خالية و مهجورة من أصحابها ..

نظرت إلى البحر و هي تتساءل :

- *ماذا يحدث لو ألقيت نفسي إلى الموج و تخلصت من حياتي ؟ .. ربما يكون الموت أكثر رحمة من قسوة حياتي .. على الأقل قد لا أكون في العالم الآخر أكثر وحدة مما أنا عليه الآن ..*

انتابها شعور غريب بأنها ترغب في الحديث مع أي شخص يمكن أن يؤنس الوحدة التي تغمرها حتى لو كان عفريتاً من الجن ؛ و عندما انتابتها الفكرة تصاعدت الموسيقى تمزق صمت الشاطئ فجأة ..

حانة الأقدار عربدت فيها
لياليها و دار النور
و الهوى صاحي

هذه الأزهار كيف أسقيها
و ساقيها بها مخمور
كيف يا صاحي

سألت عن الحب أهل الهوى
سقاة الدموع ندامى الجوى

فقالوا حنانك من شجوه
و من جده بك أو لهوه
و من كدر الليل أو صفوه
سل الطير إن شئت عن شدوه

ففي شدوه لمسات الهوى
و فرح الحنين و شرح الجوى

عذوبة الموسيقى و صوت أم كلثوم الذي انبعث من شاليه قريب جذبها كالسحر ؛ كان الشاليه يغرق في الظلام كسائر الشاليهات الموجودة بالشاطئ لكنه لم يكن مغلقاً ؛ فقد كانت الشرفة مفتوحة و تهتز ستائرها ؛ شعرت بالخوف ؛ و هي تقترب من الشرفة هامسة :

- *إما أنني قد فقدت عقلي و جعلتني الوحدة أهذي أو أن أمنيتي السخيفة قد تحققت .. و إذا كانت الأشباح تعشق غناء كوكب الشرق مثلي فأظن أننا سنصبح أصدقاء بسرعة .*

وقفت عند باب الشرفة مترددة ؛ و صوت أم كلثوم يردد :

و رحت إلى الطير أشكو الهوى
و أسأله سر ذاك الجوى

فقال حنانك من جمره
و من نهيه فيك أو أمره
و من صحو ساقيه أو سكره
سل الليل إن شئت عن سره

ففي الليل يبعث أهل الهوى

و في الليل يكمن سر الجوى

تنهدت في حرارة و هي تشعر بالنشوة تسري في عروقها من حلاوة اللحن ؛ للحظة تبدد شعورها بالخوف أو الوحدة ؛ حتى برودة الليل التي تشتد لم تعد تؤثر كثيراً بها ؛ أسبلت جفونها و هي تفكر في أنه ليس من العقل أو الحكمة أن تظل واقفة تتنصت على الموسيقى ؛ فلا ريب من أن أحداً بالشاليه يمكن أن يراها و يغضب من تصرفها رغم

أنها لا تعرف أحداً يمكن أن يعيش في الظلام الدامس سوى الأشباح .

لا زال صوت ثومة ينبعث و كأنه رسول من العالم الآخر يخبرها بأنها لم تعد وحيدة .. و هي تشدو :

و لما طواني الدجى و الجوى
لقيت الهوى و عرفت الهوى .

ففي حانة الليل خماره
و تلك النجيمات سماره
و همس النسائم أسراره
و تحت خيام الدجى ناره

و في كل شيء يلوح الهوى
و لكن لمن ذاق طعم الهوى

.

فجأة رأت ظلاً أسود ينفصل عن ظلام الشاليه و يندفع نحوها مجتازاً الستائر المتطايرة قبل أن يقفز في وجهها و هو ينبح ؛ شعرت بالذعر و هي تهوي على الرمال و تغمض

عينيها للحظة قبل أن تتنهد في ارتياح و ذلك اللسان اللزج يمسح وجهها و كأنه يداعبها .

فتحت عينيها لترَ كلباً ضخماً يبدو مظهره مخيفاً لكنه كان يعاملها بلطف و كأنها صديقة قديمة يشعر بالقلق عليها حتى أنها ابتسمت و داعبت رقبته في حنان ؛ و هي تهمس :

- مسكين .. هل كادت الوحدة أن تقتلك مثلي ؟

اعتدلت جالسة و هي تحتضن الكلب الذي نبح و هز ذيله و كأنه يعلن عن سعادته بوجودها .. قبل أن تنتبه إلى الرجل الذي وقف عند الشرفة و هو يهتف :

- أنتِ محظوظة لأنه لم يمزقك .. فهو كلب بوليسي مدرب و أنتِ تتصرفين كلصة .

نظرت ياسمين إلى الرجل الواقف تحت جنح الظلام الحالك ؛ بدا طويل القامة و مفتول العضلات على نحوٍ ملفت للنظر ؛ لكن الظلام جعلها تعجز عن رؤية وجهه ؛ مع هذا كانت تتخيله مكفهراً بشدة فقد كان صوته جافاً و بارداً ..

لم يكن الرجل ودوداً ككلبه حتى أنه لم يحاول أن يمد لها يد المساعدة و هي تنهض و تنفض الرمال عن ثوبها ؛ و جعلها جفاؤه تشعر بالحرج و التوتر و هي تهتف :

- آسفة .. لم أكن أتلصص عليك .. الموسيقى سحرتني و جذبتني إلى هنا و لم أعرف أن الشاليه ليس شاغراً .

انتظرت أن يقبل اعتذارها أو أن يقول أي شيء يخفف عنها شعورها بالحرج ؛ لكنه ظل صامتاً على نحوٍ جعل حرجها يتحول إلى حدة و هي تردف :

- على كل حال الأشباح فحسب يمكنها أن تعيش في بيوت مظلمة .. و بما أنك لست شبحاً و الحمد لله ؛ فلما لم تشعل أضواء الشاليه ؟ ..

دوى الرعد يهدر فجأة و هطل المطر على رأسها ؛ أسرع الكلب يقفز إلى داخل الشاليه ليحتمي به ؛ بينما نظرت ياسمين في حسرة إلى الطرف الآخر من الشاطئ حيث الشاليه الذي تقطنه و بدت لها المسافة طويلاً جداً خاصةً أن المطر بدا غزيراً و كاد أن يغرقها في لحظات ..

هتف الرجل :

- إذا أردتِ البقاء قليلاً حتى يتوقف المطر فلا مانع عندي .

دخل إلى الشاليه دون أن ينتظر ردها ؛ شعرت بأنه من الحماقة أن تبقى مع رجلٍ غريب لا تعرفه لكنها مع هذا تبعته إلى الداخل و كادت أن تتعثر في أحد المقاعد عندما مد الرجل يده و أمسك بها قبل أن تقع ..

انتابها شعور غريب عندما لمس ذراعها للحظة قبل أن يبتعد و هو يهتف :

- ما دامت لديكِ الجرأة للدخول يمكنك أن تغلقي باب الشرفة .. و شغلي مكيف الهواء ليدفئ المكان .

لم تكن تراه لكنها كانت واثقة من أنه يبتسم ؛ صوته لم يعد جافاً فقد بدا أكثر مودة خاصة و هو يردف :

- عموماً اطمئني .. أنا لن أؤذيكِ .. فأنا لست شبحاً و لا ألتهم ضيوفي على العشاء .

ضحكت ياسمين و أغلقت باب الشرفة و هي تهتف :

- و من قال أنني أخشاك ؟ .. لديّ هنا صديق ؛ هل نسيت ؟ .. كلبك سقط في غرامي منذ أول نظرة و لن يتركك تؤذيني .. أين ذهب فأنا لا أراه ؟ .. آسفة .. أنا عيوني لا ترى بالأشعة تحت الحمراء لذا لا أستغني عن المصابيح الكهربائية ؛ أليس لديك بعضاً منها في هذا الكهف ؟

بحثت عن زر الإضاءة و ضغطته لتنبعث الأضواء لتملأ المكان ثم التفتت لتتأمل ما حولها.. كان لا يختلف كثيراً عن شاليه جدها ؛ لكن الرجل الذي استرخى مغمض العينين فوق مقعد هزاز و الكلب ينام عند قدميه ؛ بدا لها غاية في الجاذبية على نحوٍ لا يمكن إنكاره ..

جلست على الأريكة قرب مكيف الهواء لتجف ثيابها و هي تسمع الموسيقى التي لا تزال تنبعث من هاتف محمول من نوع حديث و باهظ الثمن ؛ كان موضوعاً على مائدة بالقرب من الرجل ..

صوت الرعد يعلو و يشتد و الأمطار تضرب جدران الشاليه في عنف و كأنها ترغب في تمزيقها ؛ و ياسمين تفكر في الرجل الغامض الذي ظهر في حياتها فجأة ؛ قد لا يكون شبحاً لكنه كان يتصرف كالأشباح و ربما هو أكثر غرابة منها ..

لأكثر من ساعة ظل الرجل مسترخياً و مسبل العينين و لم ينطق بحرفٍ واحد حتى فكرت في أنه ربما قد نام ؛ كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل بقليل و شعرت بالنوم يداعب عيونها خاصة أن الموسيقى كانت هادئة و تخدر أعصابها ؛ و عندما أنهت ثومة غناء الأطلال ثم بدأت تشدو أقبل الليل هتفت ياسمين في تذمر :

- أنا ضيفتك ؛ أليس كذلك ؟ .. أم أنك قد نسيت أنني موجودة ؟

هتف الرجل دون أن يرف له جفن :

- تصرفي و كأنك في بيتك .. المطبخ عامر بالطعام و المشروبات ؛ و غرفة النوم بالأعلى إذا أردتِ أن تنامي فأنا سأبقى كما أنا .. يمكنك

أن تغلقي الباب بالمفتاح إذا كان هذا سيجعلك تشعرين بالأمان .

هتفت ياسمين في ضيق :

- لا أريد أن أنام .. أريد أن أتكلم حتى نكسر الملل .. على الأقل يمكن أن نتعرف على بعض ؛ فنحن جيران .. أليس كذلك ؟

ظهر على شفتيه شبح ابتسامة ؛ و هتف و هو لا يزال مسترخياً :

- لو كان لكِ صوتٌ مثل صوت ثومة لربما استمعت لكِ .. لكن .. لما لا تسمعين غناءها أفضل ؟ .. أليس سحر هذا الصوت هو ما أوقعك في هذا المأزق ؟

اعتدلت ياسمين جالسة ؛ و هي تهتف في حماس :

- ثومة فريدة و ليس لها مثيل .. لكن صوتي جيد و لا بأس به ؛ فإذا غنيت لك ؛ هل ستسمعني حينئذٍ ؟

لم تنتظر رده ؛ بل أسرعت إلى الهاتف و أوقفت الأغنية قبل أن تلتفت له هاتفة :

- *ماذا تحب أن أغني لك ؟ .. لا .. أنا سأختار .. هل تحب فيروز مثلي ؟*

للمرة الثانية لم تنتظر الإجابة و بدأت في الغناء :

بعتلك يا حبيب الروح

بعـتلك روحـــي .

و قلتلك ما دام هتروح

خد معاك روحي .

أنا خايفة أوديلك قلبي

تكون ناسيني و ناسي حبي

أنا عاشقة دايماً يا حبيبي

و روحي في إيدك يا حبيبي .

أنهت الغناء و ظلت تتأمل الرجل الغامض مغمض العينين الذي بدا و كأنه لم يسمعها حتى أنه ظل صامتاً و لم يعلق فهتفت في تردد :

- ألم يعجبك صوتـي ؟

هتف الرجل في هدوء :

- بالعكس .. صوتك جميل فعلاً .. دافئ و حساس .. لكنه ليس مثل صوت فيروز طبعاً .

قطبت جبينها و هي تشعر بالضيق من تعليقه ؛ حتى أنها هتفت :

- على فكرة أنت قليل الذوق .. أولاً : ترفض أن تراني .. ثانياً : تكره أن تسمعني .. بدلاً من أن تتجاهلني و تعاملني بهذه السخافة كان أولى بك أن تطردني ما دام وجودي هنا مزعجاً لك لهذا الحد .

نهضت ياسمين و اتجهت نحو الباب و هي تنوي الخروج منه و عدم العودة إلى هذا المكان مرة أخرى أبداً .. و قبل أن تفتح ياسمين باب الشاليه لتغادره إلى الأبد اعتدل الرجل جالساً و هو يهتف :

- انتظري أرجوك فالجو لا زال عاصفاً بالخارج .. و آسف على فظاظتي معكِ .

التفتت ياسمين و التقت عيونها بأجمل عيون رأتها في حياتها ؛ بحر من الزرقة الصافية كصفحة السماء في ظهيرة يومٍ مشمس ؛ فيه دفء و رحابة تجذبها و كأنه يدعوها لتلقي نفسها بين أمواجه و هي تشعر بالأمان و السعادة .. تنهدت في حرارة و هي تفكر :

- أغمضهما أرجوك ؛ فأنا لا أستطيع أن أقاوم هذا السحر .

لم تدرك أن لسانها قد انزلق بما تفكر فيه إلا عندما ابتسم الرجل و هو يهتف :

- تتحدثين كمراهقة حمقاء ؛ و لكن على كل حال شكراً على الإطراء .. سأذهب إلى المطبخ ؛ فهل تأتين معي ؟

كادت أن تهتف :

- أنا فعلاً لا زلت مراهقة فعمري سبعة عشر عاماً فحسب لكنني لم أكن حمقاء قط .. لكن جاذبيتك ساحقة و لا تقاوم و هذا ليس ذنبي .

لكنها ابتلعت قولها و هي تشعر بالصدمة عندما وقف الرجل و أمسك بالعصا التي كانت ملقاة طوال الوقت بجوار مقعده ..

الرجل محق فهي فعلاً حمقاء بل و أكثر حماقة مما كانت تظن بكثير ..

الآن يمكنها أن تفهم لماذا لم ينتبه الرجل لظلام الليل ليضيء المصابيح ؛ و لما ظل مغمض العينين و لم يحاول أن يراها أو ينظر لها و لو لمجرد الفضول ؟ .. و أدركت أنه ليس الأشباح فحسب من يعيشون في الظلام الحالك لأن العميان أيضاً كذلك ؛ و الرجل صاحب أجمل عيون رأتها في حياتها لم يكن يستطيع أن يراها لأنه كفيف ..

الفصل الثاني

أسرعت الدموع تقفز إلى عيون ياسمين و تتدفق من بين أهدابها و هي تهتف في لوعة :

- أنا آسفة .. حقاً آسفة .. أرجوك سامحني .. لا أدري كيف لم أنتبه .. أنا فعلاً حمقاء و غبية و قليلة الذوق .. قلت كلاماً كثيراً سخيفاً ما كان عليّ أن أتفوه به .

هتف الرجل في هدوء :

- لا داعي للاعتذار يا آنسة .. مجرد سوء تفاهم بحسن نية و لم يتأذَ أحد .. هل ستأتين معي إلى المطبخ أم أصنع لكِ بعض الشطائر معي ؟

مسحت ياسمين دموعها و ابتسمت و هي تهتف :

- اتركني أعدها لك لأتأكد من أنك قد قبلت اعتذاري .

وقفت ياسمين في المطبخ الواسع تعد الشاي و الشطائر و هي تغني ؛ بينما جلس الرجل إلى الطاولة و هو يسمعها في صمت ؛ لم يكن

يراها و هي تختلس النظر إليه ؛ و تتساءل في حيرة :

- ترى من أنت ؟ .. و ماذا تفعل هنا وحدك ؛ و أنت في هذه الظروف ؟ .. أنا أتيت إلى هنا مضطرة هرباً من والدي و قسوته ؛ فمما تهرب أنت ؟ .

عندما وضعت الشاي و الشطائر أمامه شكرها باقتضاب و ظل يأكل في صمت ؛ عيونه التي لا ترى الضوء تحدق بها فتجعلها تشعر بأنها تغرق في زرقة عينيه ؛ لهذا الرجل هالة من الجاذبية تجعل عقلها يهوي في بئر من العواطف لم تعرفها من قبل ؛ و تجعلها تنسى كل همومها و قسوة ذكرياتها و مرارة وحدتها و لا تفكر إلا به ..

عليها أن تخترق غموضه و تحطم الصمت و تعرف كل ما ترغب في معرفته عنه .. هتفت فجأة في مرح :

- لديك اسم و لقب و مهنة مثل كل الناس ؛ أليس كذلك ؟ .. أم أنك فريدٌ عن سائر البشر في هذا أيضاً كما أنت فريد في جاذبيتك ؟

ضحك الرجل و ارتشف بعضاً من كوب الشاي قبل أن يهتف :

- اسمي عادل .. عادل سليمان .. عمري ثمانية و ثلاثون عاماً و أعمل بالمحاماة .. و كما ترين أعيش بمفردي .. و ماذا عنكِ ؟

كان جدها رئيساً لمحكمة الاستئناف قبل أن يتقاعد منذ بضع سنوات ؛ لذا لن تستغرب كثيراً إذا استلطف عادل منذ أول وهلة مثلها و وقع في أسر جاذبيته .. كانت تنظر إليه في وله و هي تهمس :

- أنا ياسمين .. ياسمين جلال .. و للأسف يمكنك أن تقول أنني قد تسربت من التعليم قبل أن أحصل على الثانوية العامة ؛ لذا أنا عاطلة عن العمل .

ابتسم عادل و هتف :

- يمكنك احتراف الغناء ؛ فصوتك جميل فعلاً .. ليس مثل صوت ثومة و فيروز طبعاً لكنه أجمل من أصوات كثيرة موجودة على الساحة الآن و تتمتع بالنجومية .

فكرت في أن الدخول إلى المجال الفني هو آخر شيء يمكن أن تفكر به ؛ فهي تكره الفنانين و تحتقر الحياة الفارغة التي يهدرونها في الجري وراء الشهوات ساحقين بأقدامهم قلوب أقرب الناس لهم بلا رحمة لكنها لم تقل هذا ؛ فهذا الرجل لا يراها ؛ لذا لن يستطيع أن يرَ كم هي تشبه الفنانة المشهورة ثريا كمال و التي كانت واحداً من أشهر الأصوات الموجودة على الساحة ؛ و الأفلام التي لا تزال تؤدي فيها أدوار فتاة في مثل سن ياسمين ابنتها الوحيدة تحقق نجاحاً منقطع النظير ..

فجأة انتابها شعور عميق بالراحة لأنه كفيف فما دام لا يرى ثريا فيها فلن يتسرع في الحكم عليها كما يفعل الجميع ؛ و ربما لأول مرة ستتعامل مع شخص يراها كانسانة لا كمجرد ظل لامرأة مشهورة و سيئة السمعة ..

غرقت في أفكارها و طال صمتها حتى أن عادل قد ابتسم هاتفاً :

- هل نمتِ أم اكتفيت بهذا القدر ؟ .. ظننتك فضولية أكثر من هذا يا آنسة .

ابتسمت ياسمين و هتفت :

- أنا فعلاً يقتلني فضولي و أرغب في معرفة المزيد عنك .. لكنني ياسمين .. ياسمين فحسب .. آنسة هذه تجعلني أشعر بأننا في ساحة المحكمة و أنك ستشرع في استجوابي .. و أنا من سيطرح الأسئلة لا أنت .. هل أنت متزوج ؟

هتف في اقتضاب :

- كنت .. حالياً مطلق .

فكرت في أن المرأة التي تكون محظوظة بالارتباط به ؛ ستكون مجنونة إذا سمحت له بتطليقها لكنها لم تقل هذا ؛ ليس من اللياقة أن تسأله عن زواجه أو أسباب طلاقه فهي مجرد ضيفة قد لا يرغب في معرفتها بعد هذه الليلة ؛ لذا أرادت أن تغير مجرى الحديث فهتفت :

- هل ولدت مكفوفاً ؟

هز رأسه نفياً و هتف :

- لا .. توقف المطر ؛ أليس كذلك ؟

انتبهت إلى أنه محق ؛ لكنها لم تكن ترغب في الذهاب بهذه السرعة و همست في تردد :

- أظن هذا .. أترغب في أن أنصرف ؟

نهض عادل و أمسك عصاه و هو يهتف في حسم :

- إذا كان المطر قد توقف .. فسيكون هذا أفضل ..

صحبها حتى باب الشاليه و عندما خرجت إلى الهواء البارد و صفع الباب خلفها شعرت بأنه قد أقام جداراً بينهما لا يريدها أن تتخطاه ..

ابتلعها الظلام و هي تسير نحو الشاليه و هي تتلفت خلفها ما بين لحظة و أخرى تنظر إلى الضوء الذي أخذ يبتعد و هي تشعر بأنها قد تركت خلفها شيئاً ثميناً لن يمكنها استعادته مرة أخرى .. أبداً ..

دخلت إلى الشاليه و صعدت إلى غرفة النوم و استلقت في الفراش و هي تفكر في أن عادل لا يرغب في وجودها قريباً منه ؛ فهل أتى إلى هذا المكان لأنه يرغب في الوحدة ؟ ..

ربما .. لكنه أتى لتوه و لا ريب في أن هذه هي أول ليلة له هنا ؛ هو لم يجرب بعد و لا يعلم كم أن الوحدة قاسية ؛و ربما بعد يومٍ أو يومين يبحث عنها لأنه لم يعد يحتمل البقاء وحده .. و إذا كان يظن أن بضع أغاني على هاتفه قد تكفيه فهو واهم ؛ لديها تلفاز و جهاز دي في دي ؛ و مع هذا كانت تفضل إلقاء نفسها في البحر على أن تبق وحيدة و لو لليلة أخرى ..

تقلبت في الفراش كثيراً قبل أن ينبلج النهار و يرن جرس الهاتف الأرضي ؛ أسرعت تهب من فراشها و تندفع نحو الهاتف و تلتقط السماعة.. لا أحد غير جدها يعلم بوجودها هنا و إذا كان هو الذي يطلبها فلا ريب من أنه قد غادر غرفة الانعاش .. هتفت في لهفة :

- جدي .. وحشتني .. وحشتني جداً .

أتاها صوت مربيتها على الطرف الآخر و هي تهتف في لهفة :

- انا لست سيادة المستشار يا ياسمين .. أنا منيرة .. كيف حالك يا ابنتي ؟ .. أريد أن أطمئن عليكِ .

جلست ياسمين و ترقرقت الدموع في عيونها و هي تهمس :

- وحشتيني يا دادا .. و عم بيومي .. و جدي .. كيف هو الآن ؟ .. هل تحسن ؟ .. لا تعرفين كيف مرت هذه الأيام عليّ و أنا لا أستطيع أن أبقى بجواره في المستشفى لأرعاه .

أتاها صوت المربية يهتف في ارتياح :

- سيادة المستشار بخير يا ياسمين .. لا زال في العناية المركزة لكنه خضع لجراحة في القلب و اجتازها و الحمد لله .. هو أخبرني عن مكانك و أعطاني رقم الهاتف ؛ لا تتخيلين كم هو قلق عليكِ .

انهمرت دموع ياسمين و هي تهتف :

- سامحه الله أبي ؛ هو السبب في كل هذا .. كان يجب أن أكون مع جدي الآن لا هاربة كمن ارتكبت جريمة .. ألا تعلمين يا دادا متى سيسافر لأتمكن من العودة ؟

هتفت المربية في أسى :

- لا يا ابنتي .. لكنني سأتصل بكِ فور سفره لأبلغك حتى تعودي .. انتبهي إلى نفسك يا ياسمين و كلي جيداً ؛ و اتصلي على هاتف ابنتي ليلى من وقتٍ لآخر لأطمئن عليكِ .. معكِ الله يا ابنتي .

أنهت ياسمين الاتصال و ارتمت في الفراش و هي تبكي في لوعة ؛ لكانت حياتها أفضل لو كانت يتيمة لكن من المؤسف أن والديها لا زالا على قيد الحياة .. لا يسببان لها سوى عذاب لا ينتهي حتى أصبحت تكره مجرد وجودهما في الحياة ؛ ربما لكان أفضل لو ذهبت أو ذهبا إلى العالم الآخر ؛ فوجودهما معها في نفس العالم كارثة لا تعرف كيف تواجهها ..

كانت فكرة الموت تبدو مريحة جداً و جذابة و ملأت كل عقلها عندما ارتفع فجأة صوت نباح مألوف أسفل نافذة غرفتها جعلها تهب جالسة في الفراش و هي تمسح دموعها و على وجهها ترتسم ابتسامة كبيرة اتسعت لتملأ قلبها كله بالسعادة .

هبت ياسمين تغتسل بسرعة و ترتدي ثيابها و تغادر الشاليه ؛ كان الكلب ينبح و يهز ذيله فرحاً عندما داعبت رقبته و هي تهمس :

- *صباح الخير يا صديقي ؛ هل جئت لتسأل عني ؟ .. كم أنت ودود .*

لعق الكلب وجهها بلسانه فضحكت و هي تردف :

- *ليت صاحبك كان ودوداً مثلك .. ما رأيك في أن أدعو نفسي للفطور معه ؟ .. هل سيرحب بي مثلك أم يطردني ؟ .. عموماً .. لا ضير من المحاولة ؛ فأنت ستقف في صفي و تدافع عني ؛ أليس كذلك ؟*

سار الكلب بجوارها حتى وصلا إلى شاليه عادل الذي كان جالساً في استرخاء على مقعده الهزاز مغمض العينين كالعادة ؛ و من هاتفه ينبعث صوت ثومة تنشد :

- ***من أجل عينيك عشقت الهوى***

بعد زمانٍ كنت فيه الخلي

و أصبحت عيني بعد الكرى
تقول للتسهيد لا ترحل

يا فاتناً لولاه ما هزني وجد
و لا طعم الهوى طاب لي

هذا فؤادي فأمتلك أمره
فاظلمه إن أحببت أو فأعدلِ

تنهدت ياسمين و هي تفكر في أن القصيدة تنطق بلسان حالها في هذه اللحظة بالذات ؛ و ظلت واقفة عند باب الشرفة مترددة عندما هتف عادل فجأة :

- *أنتِ مرة أخرى ؟*

حسمت ترددها و دخلت إلى الشاليه ؛ و هي تهتف في حيرة :

- *كيف علمت بأنني هنا ؟*

ابتسم عادل و اعتدل جالساً و هو يهتف :

- *شممت رائحتك .. رائحة الياسمين تفوح منك يا ياسمين .. ماذا تفعلين هنا ؟*

هتفت ياسمين في دلال :

- لم أكن أتلصص و لم آتِ بدون دعوة .. كلبك أتى إلى نافذتي و ظل ينبح ينبح حتى أحرجني و اضطررت لقبول دعوته ؛ فأنا لا أحب أن أخذل أصدقائي .. هل ستسمح لي بالدخول أم أنك ستغضب صديقنا المشترك و تطردني ؟

ضحك عادل و نهض و هو يهتف :

- أنتِ فريدة من نوعك فعلاً .. تتحدثين كطفلة كما لو أنك لم تتجاوزي بعد سن المراهقة و أنا لا أحب أن أضيع وقتي في مجالسة الأطفال .

هتفت ياسمين بسرعة :

- أنا لست طفلة .. عمري سبعة و عشرون عاماً .

ندمت لكذبتها ؛ لا يحق لها أن تخدعه و تضلله لمجرد أنه لا يستطيع أن يراها و يكشف كذبتها ؛ شعرت بأنها قد تصرفت بوضاعة و نهرت نفسها بشدة لكنها لم تستطع التراجع .. ستجرحه إذا اعترفت له بأنها قد استغلت عاهته لتضليله و سيطردها من حياته و هذا ما لن تستطع أن تتحمله .. تكاد أن

تتوسل إليه كيلا يتركها وحيدة من جديد لكنها لم تستطع أن تفعل ..

وقفت صامتة و قد اغرورقت عيونها بالدموع قبل أن يدخل عادل إلى المطبخ و هو يهتف :

- ربما لا تملكين جسد طفلة ؛ لكن صوتك و أسلوب حديثك يجعلاني أشعر بأنني أتعامل مع مراهقة .. ربما لو أكملتِ تعليمك لقلت فطرتك و ازدادت خبرتك و كبر عقلك كما كبر جسمك ؛ لماذا لم تكملي تعليمك ؟

تبعته إلى المطبخ و هي تفكر في أن هذا واحداً من أسئلة كثيرة لن تستطيع أن تجيبها بصراحة ؛ هل كان سيفهمها لو قالت :

- أمي فنانة مشهورة .. لكن فنها ليس هو ما اشتهرت به بين الناس بل الحياة الماجنة التي اختارتها لنفسها .. هل تعرف معنى أن تغمض عينيك كل ليلة و أنت تنتظر أن تستيقظ في الصباح على أخبار مغامرات والدتك العاطفية و صورها العارية التي تملأ صفحات المجلات ؟ .. هل جربت أن ينظر لك الناس على أنك مجرد صورة مصغرة من شخص لا تعرفه و لا تحبه و لا تقره على ما يفعله ؛ لكن

الناس تحاسبك طوال الوقت على أخطاءه ؟ .. هل أحسست بأنك موصوم بجريمة لا تعرفها و ذنب لم ترتكبه بعد ؛ لكن الجميع يتوقعه منك حتى أنهم يكادون أن يلوموك على أنك تخيب ظنهم بك و لم ترتكبه بعد ؟ .. أنا تركت دراستي لأهرب من معايرة زملائي لي بأمي ؛ لأنني لا أستطيع أن أراها في عيون الناس طوال الوقت و هم ينظرون لي على أنني هي أو هكذا سأكون بعد بضعة أشهر أو سنوات .. أنا هربت يا عادل .. هربت من كل من يراني و ربما لهذا أشعر بالراحة معك ؛ لأنك كفيف و لن ترَ ثريا عندما تنظر لي .. فأنت الوحيد الذي سيرى ياسمين .. ياسمين فحسب .. لأنك ستراني بقلبك لا بعينيك .

تنهدت ياسمين و هي تمسح دموعها ؛ أمامها فرصة ذهبية لا تعوض فهي لأول مرة ستتعامل مع شخص لن تشعر بأنها عارية أمامه .. ربما لأنها حتى لو كانت عارية فهو لن يراها .. و كرهت نفسها بشدة عندما انتابها شعور بالراحة عندما فكرت في أنه كفيف و تمنت أن يظل كفيفاً إلى الأبد .

الفصل الثالث

ظلت ياسمين شاردة للحظات لكن صوت عادل انتزعها من شرودها و هو يهتف :

- هل أزعجك كلامي ؟ .. أنا آسف .. يبدو أنني قد فقدت كياستي و أنا أفقد بصري .. سامحيني .

زفرت ياسمين في حرارة و همست :

- لا عليك ؛ أنت لم تقل شيئاً يمكن أن ألومك عليه ؛ لكنني لم أنم جيداً و أكاد أن أموت جوعاً .. هل أكلت أم نتناول فطورنا معاً ؟

جلس عادل إلى الطاولة و هو يهتف :

- إذا كنتِ ستعدين الطعام بنفسك فليس لديّ مانع من أن نأكل معاً .. و إذا كنتِ ماهرة في الطبخ يمكنني أن أدعوكِ للغداء لكنك ستعدينه بنفسك .

ضحكت ياسمين و هتفت :

- لا تعتمد عليّ في الحصول على أكثر من بضع شطائر فأنا تقريباً لا أدخل المطبخ على الإطلاق .. دادا منيرة و عم بيومي الطباخ

يحملان الفيلا كلها على أكتافهما و أنا وجدي نستمتع بما يقدمونه لنا فحسب .

هتف عادل في اهتمام :

- هل تقيمين مع جدك ؟ .. و ماذا عن والديكِ ؟

ظهر التوتر على وجهها ؛ لكنه لم يكن يستطيع أن يراه و هي تهمس :

- والدايّ منفصلان من قبل ولادتي .. جدي هو من رباني و لا زلت أعيش معه .. والدي سفير في إحدى دول أمريكا الجنوبية و هو يعيش هناك منذ سنين ؛ تزوج و أنجب و أصبحت لديه حياته و لا مكان لي فيها .. و أمي .. أمي أيضاً لديها حياتها .. لذا يمكنك أن تعتبرني يتيمة .. و أنت ؟ .. هل لديك أسرة أم أنك يتيم مثلي ؟

لم يكن يراها لكنه كان حتماً يشعر بالمرارة التي تقطر من صوتها ؛ لا يستغرب الآن أن تدخل بهذه السرعة في حياة شخص غريب مثله ؛ فهي وحيدة و الوحدة قد تدفع الانسان لما هو أسوأ من هذا بكثير .. هتف عادل :

- أنا يتيم لكنني لديّ أسرة .. لي أخ يدرس الطب في انجلترا و أخت تقيم مع زوجها في كندا .. هو أيضاً دبلوماسي كوالدك .

وضعت ياسمين الشطائر أمامه و هي تهتف في فضول :

- هل تعمل بالمحاماة منذ وقتٍ طويل ؟

ابتسم عادل و تناول إحدى الشطائر و هو يهتف :

- منذ خمسة عشر عاماً تقريباً .. والدي كان مستشاراً في محكمة الاستئناف و عندما تقاعد فتح مكتباً للمحاماة و ورثته عنه .. لكن اسمي و سمعتي صنعتهما بنفسي .

لمست كفه و هي تناوله كوباً من الشاي فارتجفت ؛ تظاهر عادل بأنه لم يلاحظ هذا و هي تهتف في توتر :

- هل أفهم من هذا أنك ناجح جداً في عملك ؟

هتف عادل في اقتضاب :

- يمكنك أن تقولي هذا .. عموماً أكسب على نحوٍ جيد فقد اشتريت هذا الشاليه من مالي الخاص و ليس مما ورثته عن أبي .

ابتسمت ياسمين و هتفت :

- أما أنا فمفلسة .. جدي ينفق عليّ بسخاء لكنه مسن و حالته الصحية تراجعت جداً مؤخراً .. و ربما إذا فقدته أجد نفسي في الشارع لأن أبي سيبيع كل شيء بسرعة و يعود إلى زوجته و أولاده .. هو يأمل كثيراً في هذا حتى أنه لم ينتظر أن يموت جدي و أتى بحثاً عن ميراثه .

تلألأت الدموع في عينيها ؛ بينما هتف عادل :

- من الواضح أن علاقتك بوالدك سيئة جداً ؟

صمتت ياسمين للحظة ؛ قبل أن تهتف في مرارة :

- لم تكن هناك علاقة بيني و بين أبي على الإطلاق .. زار مصر لآخر مرة منذ عشر سنوات ؛ و نادراً ما كان يكتب لجدي أو يفكر في الاتصال به ؛ لكن جدي أصيب بأزمة قلبية

منذ بضعة أسابيع .. أتى أبي مسرعاً بمجرد أن علم بالخبر لا ليطمئن على جدي و لكن ليستولي على ميراثه .. حاول إقناعه ببيع الفيلا و تصفية ممتلكاته و أن يسافر معه للعلاج في الخارج لكن جدي رفض .. حالته ميئوسٌ منها و هو لا يرغب في أن يموت غريباً .. و للأسف .. أبي لم يفهم هذا و قرر إرغامه على السفر و استغلالي من أجل هذا .. أصر على اصطحابي معه لأنه يعرف أن جدي لا يمكنه أن يتركني أسافر بدونه .. و عندما زادت ضغوطه على جدي و ساءت حالته الصحية أكثر و أكثر ؛ نصحني بأن أختبئ هنا حتى ييأس أبي و يسافر بدوني .

انفجرت باكية و ارتفع صوت نحيبها ؛ فتنهد عادل قبل أن يهتف في شفقة :

- منذ متى و أنت هنا وحدك يا ياسمين ؟

هتفت في لوعة :

- أكثر من عشرة أيام .. قبل أن أقابلك كنت أكلم نفسي حتى أنني فكرت في الانتحار .. لن تتخيل كيف مر هذا الوقت عليّ .. الوحدة

بشعة يا عادل .. أكثر بشاعة من كل الألم الذي عرفته في حياتي .

نهض عادل و هتف :

- لكنك لستِ وحدك الآن و بما أنكِ لم تأكلي شيئاً و سيرة السيد الوالد سدت نفسنا عن الأكل .. فلما لا تصحبيني في جولة بالشاطئ أنا و عنتر ؟ .. مللت البقاء هنا .

ارتدى عادل معطفاً واقياً من المطر قبل أن يغادر الشاليه معها و عنتر يقفز حولهما في سعادة ؛ كان عادل يضع كفيه في جيبي معطفه إذ أنه لم يأخذ العصا معه .

كانت تتمنى أن يستند إلى ذراعها لكنه لم يطلب هذا منها و لم تجرؤ على أن تعرضه عليه .. كانت تنظر إليه و هو يسير بجوارها بثقة قبل أن تهتف في حيرة :

- غريب أمرك يا عادل .. من يراك لن يتخيل أنك كفيف ؟ .. ألا تشعر بالقلق ؟

- مما ؟

- من أي شيء قد تتعثر به مثلاً ؟

ابتسم عادل و هو يهتف :

- على أساس أن المبصرين لا يتعثرون يا ياسمين .. الحياة يا عزيزتي أفخاخ متتالية ؛ إذا أفلتنا من أحدها سنسقط في الآخر .. و الحذر لا يمنع القدر .

تعلقت في ذراعه ربما لأنها لم تعد قادرة على كبح رغبتها في الاقتراب منه و هتفت :

- قلت أنك محامي و لم تقل أنك فيلسوف .

زفر عادل في حرارة ؛ قبل أن يهتف :

- ربما لأنني مجرد شخص أحمق لم يتعلم من أخطاء الآخرين .. حصلت على درسي بصعوبة لذا لن أنساه .

نظرت إليه في حيرة ؛ بدا مهموماً و لم تعرف كيف تزيل عن قلبه هذا الهم .. حاولت أن تفتح باباً آخر للحديث فهتفت :

- لم تقل بعد .. أين مكتبك ؟ .. يقول جدي أن أبي قد يرفع ضده قضية حجر و لن نجد محامياً أفضل منك .

بدا أنه قد شعر بالارتياح لتغيير مجرى الحديث فقد هتف بسرعة :

- في شارع شريف .. و أقيم بشقة في نفس البناية ؛ و أنتِ ؟ .. أين تقيمين ؟

أسعدها أنه يرغب في معرفة المزيد عنها و هتفت :

- في المعادي .. شارع ٩ .. فيلا المستشار كمال الدين السوهاجي .

صمت عادل لحظة ؛ قبل أن يهتف في ضيق :

- لديّ فيلا في المعادي الجديدة كنت أنوي أن أقيم بها بعد زواجي لكن يبدو أنها ستظل شاغرة .

قطبت جبينها و هي تهتف في حيرة :

- ألم تقل أنك كنت متزوجاً ؟ .. لما لا تقيم فيها ؟

صمت عادل طويلاً ؛ قبل أن يهمس في مرارة :

- انتهى زواجي بسرعة بأكثر مما تخيلت .. تزوجنا بعد المغرب و انفصلنا قرب الفجر .

شعرت بالدهشة و لم تصدق ما يقول حتى أنها هتفت مازحة :

- بهذه السرعة ؟ .. هل تزوجتما فعلاً ؛ أم أجريتما بروفة على الزواج ؟

اكفهر وجه عادل و هتف :

- دعينا نعود إلى البيت .

شعرت ياسمين بالندم ؛ كان تعليقها سخيفاً و من الواضح أنه قد أغضبه ؛ سارت بجواره إلى الشاليه و هو صامت قبل أن تهتف فجأة :

- شاليه جدي على بعد خطوات ؛ لما لا تدخل و نتناول غداءنا معاً ؟

هتف عادل :

- لا .. إذا كنتِ مصرة على الغداء فلتأتِ معي أفضل .. على الأقل أعرف المكان هناك جيداً و لن أتعثر .

عادا معاً إلى الشاليه ؛ وجدت ياسمين في المطبخ الكثير من الأغذية المحفوظة و حاولت أن تصنع شيئاً مميزاً و هي لا تكف عن التفكير في الرجل الجالس على مقعده الهزاز

يسمع الموسيقى في صمت و كأنه قد نسى أو تناسى أنها لا تزال موجودة في بيته قبل أن تضع الطعام على المائدة بجواره و تتناول الهاتف و هي تهتف :

- أنا أعددت الطعام ؛ و أنا من سيختار ما سنسمعه .. رائع .. لديك هنا أغنيات كثيرة أحبها .. ما رأيك في عبد المطلب ؟ .. في قلبي غرام .

ابتسم عادل و هتف :

- ذوقك غريب بالنسبة لفتاة شابة مثلك ..

وضعت الهاتف على المائدة و الأغنية تنبعث منه و هي تهتف :

- جدي يعشق الأغنيات الكلاسيكية .. أتصدق أنه لا زال يملك اسطوانات بصوت منيرة المهدية و صالح عبد الحي ؟ .. أنا كبرت في حضنه و عشقت الموسيقى على يديه ؛ لذا لا تستغرب أمري كثيراً فهو طبيعي .. ربما ظروف نشأتي هي التي ليست طبيعية .

جلس يأكلان و هما يسمعان الصوت العذب ؛ شردت ياسمين بأفكارها حول عادل و ظلت تتساءل :

- كيف كانت تبدو زوجته ؟ .. و لما تركها بهذه السرعة ؟ .. و هل أحبها ؟ .. لا .. لا .. لا أتخيل أنه قد أحب امرأة أخرى .. لا تكوني حمقاء .. إذا رآك عادل لن يرَ فيكِ امرأةً على الإطلاق .. أنت مجرد طفلة غبية و كذابة و إذا رآها على حقيقتها سيكرهها و يحتقرها .. على الأقل هو سيلومك على ذنب ارتكبتيه فعلاً لا كما يفعل الآخرون .

تنهدت في حرارة قبل أن تهتف فجأة :

- لماذا طلقت زوجتك ؟

قاتلت بشدة حتى لا يقفز السؤال إلى شفتيها لكنها خرجت من المعركة مهزومة ؛ و لم تستطع أن تكبحه أكثر من هذا .. و كان عادل يعرف أنها ستسأل لا محالة و لم يكن واثقاً مما إذا كان يرغب في أن يخبرها أم لا لكن عندما سألت أجابها بلا تفكير :

- احتفلت بزواجنا في فراش رجلٍ آخر .

بهت وجهها و لم تقل شيئاً بينما نهض عادل و أمسك عكازه يتحسس الطريق إلى المطبخ ؛ لا تدري ياسمين لما قفزت صورة أمها إلى ذهنها فجأة ؛ ربما لأنها كانت تعرف أنها و المرأة التي يتحدث عنها عادل من نفس الصنف ..

تبعته إلى المطبخ حيث وقف عادل يصنع الشاي و همست :

- هل كنت تحبها ؟

لا .. هي حتماً لا تشعر بالغيرة ؛ فهذا رجل لا تعرفه و لا يخصها ؛ و لا يمكن أن تكون قد سقطت في حبه بهذه السرعة .. لكنها فعلاً تكاد أن تموت لتسمع إجابة بالنفي من بين شفتيه .. و تنهدت في ارتياح عندما هتف في صدق :

- لا .. لا أظن .. كنت مفتوناً بها للأسف ؛ هي جميلة و مغرية على نحوٍ جعلني أسقط في حبالها كأي أحمق و لم أدرك حقيقتها إلا بعد فوات الأوان .

كان صادقاً ؛ هو لا يحبها لكن هذا لا يمنع من أنه مجروح .. لذا همست :

- لكنك لا زلت تتألم .. ربما تلك الفتنة لم تزل بعد .

زفر عادل في حرارة ؛ قبل أن يهتف :

- الخيانة مؤلمة يا ياسمين .. و لا أحد يستطيع أن يبتلع الجرح و الإهانة بهذه السرعة .

قطبت جبينها و هي تهتف :

- ما معنى بسرعة ؟ .. متى كان هذا ؟

هتف عادل باقتضاب :

- منذ أسبوع .. لما لا نتحدث في موضوع آخر ؟

شعرت بالصدمة ؛ لا تتخيل أنه منذ أيام فحسب كان ملكاً لامرأةٍ أخرى .. امرأة جرحته و غدرت به و أهدرت شرفه و كرامته .. ابتلعت ريقها و تظاهرت بالمرح و هي تهتف :

- على كل حال ربما لم تكن بالجمال الذي تتخيله .. ربما كانت بشعة قلباً و قالباً .

كانت الغيرة تفوح من صوتها لكنه لم يستطع أن يشتم رائحتها .. ربما بسبب المرارة التي كان يشعر بها و هو يهتف :

- *لكنني لم أكن كفيفاً وقتها يا ياسمين .*

الفصل الرابع

انهمرت الدموع على وجه ياسمين ؛ لا تعرف ماذا حدث ليخسر عادل زوجته و عينيه دفعة واحدة لكنها تعلم أنها خسارة أكبر من أن يتحملها أي إنسان و يظل واقفاً على قدميه في وجه المحنة بهذه السرعة .. لا ريب من أنه شخص قويّ ؛ و جدير بالاحترام .. و الحب ..

للحظة انتابها شعورٌ جارف لم تكن تعرف كيف تكبحه ؛ لكنها أيضاً لا تعرف كيف تستسلم له ؛ و ساد المكان أجواء من التوتر شعر بها كلاهما ربما لأن عادل في هذه اللحظة بالذات تمنى لو يضمها إلى صدره و يبكي خسارته على كتفها .. شعور فاجأه و جعله يهتف في صرامة :

- اذهبي يا ياسمين .. اذهبي أرجوكِ .

ربما لم تكن ترغب في الذهاب لكنها انصاعت لأمره بلا تفكير ؛ خرجت من الشاليه و عيونها تغرقها الدموع و قلبها تغرقه الحيرة و يمزقه الألم ؛ ربما هو لا يرغب في وجودها معه

الآن لكن هذا لا يعني أنه قد طردها من حياته إلى الأبد .. غداً تعود لتطرق بابه و هو سيرحب بها كما فعل اليوم أم .. أم أنه فعلاً لم يعد يرغب في أن تفرض وجودها على وحدته أكثر من هذا ؛ و إذا كانت هي قد أتت إلى هذا المنفى مرغمة لتهرب من قسوة والدها فهو قد أتى مرغماً ليهرب من قسوة التجربة ..

لا ريب من أنه كان يرغب في أن يخلُ إلى نفسه ليعيد التفكير في كل ما مر به و يستطيع استيعاب خسارته و يقرر كيف سيمضي في حياته لكنها لم تعطِه الفرصة لهذا ؛ فقد فرضت وجودها عليه منذ أول وهلة و ربما كان هذا يزعجه ..

كانت دموعها تتساقط عندما دخلت إلى شاليه جدها حيث كان رنين الهاتف يرتفع بلا هوادة ؛ فاندفعت نحوه و أسرعت تلتقط السماعة و هي تهتف :

- دادا .. أنا لم أعد أحتمل البقاء هنا ؛ أريد أن أعود ...

قاطعتها المربية هاتفة :

- يجب أن تغادري الشاليه بسرعة يا ياسمين .. والدك في طريقه إليكِ الآن .

أنهت ياسمين الاتصال و هي لا تعرف ماذا يمكنها أن تفعل ؛ صعدت إلى غرفة النوم و جمعت ثيابها في حقيبتها الصغيرة قبل أن تحملها و تغادر الشاليه ..

الليل شديد البرودة و قطرات الماء الخفيفة التي تتساقط على استحياء بللت ملابسها بسرعة و عندما وقفت عند باب الشرفة المفتوح كانت ترتعش .

الشاليه يغرق في الظلام و مع هذا كانت تستطيع أن ترَ عادل الجالس على مقعده الهزاز و عنتر عند قدميه يسمعان معاً قصيدة الأطلال .. رفع عنتر رأسه و نبح مرحباً بها بينما هتف عادل :

- لماذا عدت ؟

كان صوته جافاً فهو فعلاً لم يكن يرغب في وجودها ؛ حياته فوضى عارمة و هي جعلت

عواطفه أكثر اضطراباً و فوضى و لم يكن هذا يروق له .. انهمرت دموعها و همست :

- آسفة .. والدي في طريقه إلى هنا و لا أعرف أين يمكنني أن أختبئ منه .. بيننا و بين الاسكندرية مائة كيلو على الأقل و ليست معي سيارة و لا يمكنني المكوث على الشاطئ لأنه قد يراني .. أشعر بالبرد و الخوف و لا أعرف كيف أتصرف .. هل يمكن أن أظل هنا حتى الصباح فحسب ؟

كانت تنتحب و صوتها أتى ضعيفاً كالأنين ؛ و لوهلة شعر عادل بالحيرة ؛ كانت تبدي اضطراباً و قلة حيلة و خوفاً من والدها قد يليق بطفلة في السابعة عشر لا بشابة ناضجة في السابعة و العشرين و بدا له هذا غريباً بعض الشيء لكنه لم يعبر عن استنكاره لتصرفها ؛ ربما لأنه فعلاً كان يتعاطف معها و يشعر بالشفقة نحوها .. أو ربما بشعور أكثر عمقاً و عنفاً لكنه لم يكن مستعداً للاعتراف بهذا و لا حتى بينه و بين نفسه ..

زفر عادل في حرارة قبل أن يهتف :

- ادخلي يا ياسمين و اغلقي الشرفة خلفك .. شغلي الأنوار و مكيف الهواء و اعتبري نفسك في منزلك .

فعلت ما أمرها به دون أن تنطق بحرفٍ واحد قبل أن تدخل إلى دورة المياه لتخلع ثيابها المبللة و ترتدي أخرى جافة و تجفف شعرها قبل أن تعود للجلوس على الأريكة أمامه و هي تسمع ثومة تنشد :

- **يا حبيبي كل شيء بقضاء**

ما بأيدينا خلقنا تعساء .

ربما تجمعنا أقدارنا ذات

يوم بعدما عز اللقاء .

فإذا أنكر خل خله

و تلاقينا لقاء الغرباء .

و مضى كل إلى غايته لا

تقل شئنا فإن الحظ شاء .

كانت ياسمين تنظر إلى عادل الذي ظل صامتاً و هي تفكر هل يمكن أن يكون لهما مستقبل معاً ؟ .. هل يمكن أن يكون لقاؤهما الغريب هذا ترتيباً من القدر لا مجرد مصادفة ؟ .. هل يمكن أن تتحرك عواطف رجل مثله نحوها ؟ .. هو لا يراها ؛ و لا يعرفها ؛ و لا يدرك أنها أصغر منه بعشرين عاماً على الأقل أي أكثر من عدد سنوات عمرها بالفعل ؛ و لا يعرف أنها موصومة بعار طاردها طوال حياتها رغم أنها ليست مسئولة عنه ؛ و لا يمكن أن يفهم كم هي وحيدة و ضعيفة و تعيسة و تحتاج إليه .. و مع كل هذا كانت تشعر بأنها هنا لأن هذا قدرها .. قدرها فحسب ..

- ألا تريدين أن تنامي ؟

انتزعها صوته من شرودها فهمست :

- هل يمكن أن أغفو هنا على الأريكة بجوارك ؟

هتف في حدة :

- لا .. غرفة النوم بالأعلى و أنا لا أستخدمها .. اطمئني .. أنا أعمى و لن أخاطر بأن أتسلق الدرج و أدق عنقي .

ابتسمت ياسمين و هتفت :

- رجل في جاذبيتك و سنك و مركزك لن أستغرب لو كان قد مر في حياته طابور من العشيقات ؛ و لن يشتهِ فتاة غريبة و متطفلة مثلي و هو حتى لم يرها .. أنا لا أخاف أو أخجل من استخدام غرفة نومك بل بالعكس .. سأشعر بالأمان أكثر كلما كنت أكثر قرباً منك ؛ لذا لا أرغب في مبارحة مكاني .

هتف في ضيق :

- تتكلمين بثقة تنم عن سذاجة مبالغ فيها يا ياسمين .. تصرف كهذا قد يليق بطفلة في السابعة عشر و تنقصها الخبرة لا بشابة في السابعة و العشرين تعرف بديهيات الحياة .. و ليس معنى أنني قد فقدت بصري أنني قد فقدت رجولتي أو أنني لن أكون خطراً عليكِ لهذا الحد .

الحدة التي في صوته جعلتها تعرف كم هو غاضب ؛ قالت ما تشعر به فعلاً و لم تفكر في أن ثقتها به قد تجرحه أو تجعله يشعر بالإهانة ؛ على كل حال هي فعلاً لا زالت طفلة في السابعة عشر لكنها لن تعترف له

بهذا الآن .. ليس و هو غاضب منها لهذا الحد ؛ فهي لا تريد أن تجرحه بأكثر مما فعلت ..

نهضت و همت بصعود الدرج لكنها قبل أن تفعل ؛ التفتت إليه و همست :

- لا أشعر بالأمان معك لأنك لا تراني بل لأنني أراك .. أراك بقلبي .. و أوقن بأنك الانسان الأكثر طهراً و طيبة بين كل من عرفتهم في حياتي .. أنا لا أعرفك يا عادل لكن قلبي يحسك و يفهمك و أنا أصدق قلبي فهو لم يخدعني من قبل قط .. و لا أظنه يفعل الآن .

صعدت إلى غرفة النوم و ارتمت في الفراش ؛ قبل أن تشعر بنباح عنتر عند باب الغرفة فنهضت و فتحت له الباب فاندفع نحو فراشها و استلقى به ..

جلست ياسمين في الفراش و داعبت فراء الكلب و الدموع تلمع في عيونها و هي تهمس :

- شكراً يا صديقي ؛ فأنا فعلاً أشعر بالوحدة و أحتاج للحديث بشدة لكن عادل لن يسمعني .. و أنا لا أجرؤ على مصارحته بالحقيقة .. أتظن

لو أنني قلت له من أكون فعلاً و من هي أمي أنه سيتفهم و لن يغير معاملته لي .. لا ... لا أظن .. لو عرف من هي أمي لن يصدق أنني من عالم و هي من عالمٍ آخر ؛ و لا أريده أن يحتقرني أو يحاول استغلالي كما يفعل الآخرون .. ثم إنه سيدرك عمري الحقيقي عندها ؛ و سيعرف أنني قد كذبت عليه .. أنا لم أكن أقصد خداعه ؛ كل ما أردته هو أن يسمح لي بالبقاء قريباً منه ؛ فهل أخطأت ؟

دفنت وجهها في الوسادة و انفجرت باكية و هي تعترف بينها و بين نفسها بأنها فعلاً قد أخطأت .. خطأً لم يعد من الممكن إصلاحه دون أن تجرح عادل و دون أن تخسره .. و هي لا تريد أن تجرحه و لا تحتمل أن تخسره ..

ربما لم يعد أمامها سوى أن تنسَ كذبتها الصغيرة و تمضي في طريقها دون أن تلتفت .. ستترك نفسها للتيار يجرفها دون مقاومة ؛ لأنها ترغب في البقاء معه و لن تقبل بأن تعود إلى وحدتها من جديد ..

نامت نوماً متقطعاً تتخلله الكوابيس قبل أن تغادر الفراش و تغتسل و تنزل إلى الردهة بحثاً عنه ؛ لكنها لم تجده و لم تجد المقعد الهزاز و باب الشرفة لم يكن موصداً فأسرعت تفتحه ؛ ثم شهقت في لوعة عندما رأت عادل نائماً في الشرفة و اندفعت نحوه ؛ و هي تهتف :

- هل أنت مجنون ؟ .. من يبيت في الخلاء في جوٍ عاصفٍ كهذا ؟ ؛ كنت تجلس في هواء التكييف الساخن ثم تخرج إلى الطل .. أنت هكذا ستمرض .

ابتسم عادل و هتف :

- لو لم أكون مجنوناً لما سمحت ببقاء فتاة في جمالك ببيتي من الأساس .. مسكين جدك .. لا بد من أنه قد أمضى حياته كلها و عينيه في وسط رأسه بسببك .

قال أنها جميلة ؛ قالها في صدق و عفوية و كأنها حقيقة مسلم بها حتى أن خدودها قد تشربت بالحمرة و هي تهمس :

- من قال لك أنني جميلة ؟

همس عادل في صدق :

- قلبي .. و صوتك .. ربما لا أراكِ لكنني أستطيع أن أتخيلك .. قلبي يراك أجمل من أية امرأة رأتها عيوني من قبل و أنا مثلك يا ياسمين أصدق قلبي .. مع أنه قد خذلني من قبل .

تنهدت في حرارة ؛ كانت تشعر بسعادة تسري في عروقها و تجعل وجهها يتوهج ؛ و قلبها يشتعل من حرارة كلامه ؛ قبل أن تبتسم هاتفة :

- إذا قلت لك أنني شقراء و عيوني في نفس زرقة عينيك .. و أنك لست أول شخص يقول لي أنني جميلة .. جداً .. هل تصدقني ؟

ضحك عادل و هتف :

- و إذا قلت لكِ أنني ضعيف أمام الشقراوات بالذات ؛ هل ستهتز ثقتك بي ؟

هزت رأسها نفياً و همست :

- لا يا عادل .. أعرف أنك الشخص الوحيد في هذا العالم الذي أستطيع أن أثق به و أشعر بالأمان معه .. و مع أنني قد سمعت كلمات

الإطراء و ربما الغزل أكثر مما تتخيل ؛ لكن كلمة جميلة التي قلتها الآن هي الأصدق .. أنا لم أشعر في حياتي بأنني جميلة فعلاً إلا و أنا أسمعها منك الآن .

شعر عادل بتيار من التوتر يجتاحه و هو يلمس حرارة الصدق في صوتها قبل أن تغلبه نوبة من السعال ؛ جعلت ياسمين تهتف في فزع :

- أرأيت ؟ .. لقد مرضت .. هيا إلى الداخل فالجو شديد البرودة هنا .

ما إن نهض حتى حملت المقعد إلى الداخل قبل أن يلحق بها عادل فأسرعت تغلق الشرفة و تشغل مكيف الهواء و تدخل إلى المطبخ لتعد له الفطور و كوباً من عصير الليمون ؛ عندما قدمته له كانت يده ترتعش حتى أن العصير قد بدأ ينسكب .. هتفت في لوعة :

- أنت ترتعد و حرارتك مرتفعة جداً .. يجب أن يراك طبيب بسرعة ؛ فلنذهب إلى الاسكندرية و ...

قاطعها هاتفاً في مرارة :

- هل تريدين أن نقطع مائة كيلو أو يزيد ذهاباً و إياباً من أجل نوبة برد ؟ .. لقد سال دمي و فقدت نظري و لم يسأل عني أحد من أخوتي بأكثر من مكالمة تليفون يا ياسمين .

قالها في مرارة تعرف طعمها جيداً ؛ فأمسكت يده و هي تهتف :

- و أمي لم تسأل عني و لا لمرة واحدة منذ ولدتني و رمتني لجدي و لا بمكالمة تليفون يا عادل ؛ لكن هذا لا يعني أنه لا قيمة لنا .. هو يعني فحسب أنهم لا يعرفون قيمتنا و لا يقدروننا ؛ لكننا نحن يجب أن نقدر أنفسنا و نعرف قيمتها ما دام لا أحد سيقدرنا غيرنا .. اشرب العصير و سأتصل بخدمة أوبر من هاتفك لأجد سيارة ....

سحب يده من كفها و هو يرتجف ؛ قبل أن يقاطعها هاتفاً :

- لا داعي .. إذا كنتِ مصرة سأتصل بسائقي الخاص .. يمكن أن يكون هنا في خلال ساعتين و يبقى معنا ؛ لكننا لن نعود في نفس اليوم ؛ دعينا نعرج على طبيب ثم نبيت في أي فندق حتى الغد .

عندما أتت سيارته يقودها رجلٌ كبير السن يناديه عادل بعم محمد ؛ نظر لها الرجل في حيرة قبل أن يهز رأسه كأنه ينفض فكرة غريبة اقتحمت عقله ثم قاد بهما السيارة طوال الطريق إلى الاسكندرية في صمت ..

كان عادل يرتعد و حرارته تزداد ارتفاعاً لكن الطبيب حقنه بمضاد حيوي قوي و خافض حرارة قبل أن يصف لهما باقي العلاج .. وقفت السيارة أمام صيدلية كبيرة حيث اشترت ياسمين الأدوية المطلوبة و عندما عادت إلى السيارة وجدت عادل يغط في النوم فتنهدت في ارتياح .. سألها محمد :

- هل نذهب إلى فندق بعينه يا آنسة أم أختار أنا الأقرب من هنا ؟

هزت ياسمين رأسها و هتفت :

- لا داعي للفندق يا عم محمد .. خذنا إلى سوبر ماركت لأشتري بعض المؤن ثم أعدنا إلى القرية .. أظن أن حالة عادل قد تحسنت قليلاً ما دام قد نام و لا أعتقد أنه سيستيقظ بسرعة .

أطاعها الرجل في صمت لكنه ظل ينظر في مرآة السيارة الداخلية من حينٍ لآخر و في عيونه سؤال ظل معلقاً و لم يقفز إلى شفتيه .

الفصل الخامس

بدا الطريق الساحلي طويلاً و ياسمين تنظر من النافذة في شرود و عادل لا زال يغط في النوم و قد مالت رأسه و استند إلى كتفها ؛ قبل أن تلتفت إلى السائق بغتة و تهمس :

- هل كنت تعرف زوجة عادل يا عم محمد ؟

زفر الرجل في حرارة و هتف :

- و من لا يعرفها ؟ .. منها لله .

ترددت لحظة ؛ قبل أن تهمس :

- كانت هي السبب في فقد بصره ؛ أليس كذلك ؟ .. كيف حدث هذا يا عم محمد ؟

نظر إليها الرجل في استنكار قبل أن يزم شفتيه و يشيح بوجهه عنها فأردفت :

- لم أستطع أن أسأله عن التفاصيل .. من الواضح أن المسألة لا زالت حية و موجعة و أنا لا أريد إيلامه .

هتف محمد :

- و أنا لا أستطيع أن أخوض في عرض الرجل الذي أعيش في خيره و خير أبيه .. أنا عملت لدى سيادة المستشار من قبل أن يولد أولاده و ربيتهم على أكتافي و أولهم الدكتور عادل .. إذا لم تكوني تعرفين ما يعرفه الجميع فعلاً اسأليه و هو حر .. يفعل ما يريد .

اعتدل عادل جالساً فجأة و هو يهتف :

- هل يهمك فعلاً معرفة التفاصيل يا ياسمين ؟

التفتت إليه ؛ و هي تهتف في لهفة :

- هل استيقظت ؟ .. ظننت أنك ستنام حتى نصل إلى القرية ؛ بماذا تشعر ؟ .. هل أنت أفضل الآن ؟

هتف محمد :

- لا زال أمامنا ثلاثون كيلو على الأقل ؛ هل تحب أن أتوقف عند استراحة الطريق لتشرب شيئاً دافئاً يهدئ سعالك ؟

جلس عادل و ياسمين في الاستراحة معاً بينما أصر محمد على البقاء في السيارة ؛ كانت ياسمين تنظر إلى عادل في قلق و هو يهتف :

- على عكس ما تخيلتِ لم يكن في حياتي طابور من العشيقات ؛ و لا حتى مجرد علاقة واحدة جادة أو عابرة .. طوال حياتي و أنا أركز في دراستي و مهنتي و أجتهد في بناء اسمي و سمعتي .. حصلت على الدكتوراة في القانون الجنائي قبل أن أبلغ الثلاثين و أصبح اسمي يتردد في ساحات المحاكم كواحد من أصغر أبرز المحامين .. ثم ظهرت في حياتي فجأة .. لا أعرف كيف أيقظت في قلبي المراهق الذي لم أكن عليه يوماً في حياتي .. فتنتي و جعلتني أغمض عيني و أسد أذنيّ عن كل ما قيل و يقال عنها .. جعلتني أعمى حتى من قبل أن أفقد نظري و سمعتي و كل ما اجتهدت طوال حياتي لتحقيقه .

لمعت الدموع في عيني ياسمين و همست :

- كفى يا عادل أرجوك .. لا أريد أن أعرف .. أنا آسفة لأنني آلمتك على هذا النحو .

هتف في مرارة :

- هذا ليس ذنبك يا ياسمين فلا تعتذري عنه .. ثم إن هذا ليس سراً فقد وثقته محاضر الشرطة و روجته الصحف و المجلات حتى أنني مندهش من أنكِ لم تقرئي أو تسمعي عن الحادث .. فقد جعلني أكثر شهرة مما عملت عليه طوال حياتي .

تنهدت ياسمين و هتفت :

- أنا لا أقرأ الصحف لأنني لا أصدق ما بها يا عادل ؛ حتى أنني لا أملك هاتفاً محمولاً و ليست لي صفحة على أي موقع من مواقع التواصل الاجتماعي .. و طوال الأسابيع التي مرت لم أرَ أحداً سوى الأطباء و الممرضات و هم ليس لديهم وقت للثرثرة و ترويج الإشاعات .. أنا جزيرة معزولة يا عادل فليس لي أقارب و لا حتى أصدقاء .. حتى النادي نادراً ما أذهب إليه .

هتف عادل :

- ربما كان هذا أفضل .. أريدك أن تسمعي الحقيقة مني لا من ادعاءات الناس .

ربتت على كفه فوق الطاولة و هي تهمس :

- لن تقول شيئاً و لن أسمع أي شيء .. الشيطانة التي جرحتك لا تستحق أن تذكرها أو تتذكرها يا عادل .. انساها و كف عن النظر إلى الوراء حتى لا تخسر حياتك .

لمسة أناملها الرقيقة إلى كفه كانت حانية و عفوية لكنها هزت وتراً في قلبه بمنتهى العنف ؛ جعله يسحب كفه و عواطفه بعيداً عنها و هو يهتف :

- أنا لا أنظر خلفي و لا أمامي يا ياسمين ؛ لأنني لن أرَ شيئاً حتى لو فعلت .. أنا أعمى .

المرارة في صوته جعلت قلبها يرتجف في لوعة و هي تهتف :

- آسفة يا عادل لم أقصد أن أجرحك .. أنا .. أنا فقط أنسى .. أنا ..

نهض عادل و هو يهتف :

- لا تعتذري .. ليس أنتِ فحسب من ينسى أنني أعمى .. أنا أيضاً كدت أن أنسَ هذا للحظة لكنني أعدك بأن هذا لن يتكرر .. أظن أننا يجب أن نعود ؛ يكفي لهذا الحد .

ركبت بجواره السيارة و هي غارقة في الصمت و في تفكيرٍ عميق .. كانت تنظر إليه بطرف عيونها الدامعة و هي تفكر :

- مما اكتفيت يا عادل ؟ .. من وجودي معك أم من الاستسلام لعواطفك و هي التي غررت بك منذ أمدٍ غير بعيد ؟ .. و إلاما سنعود ؟ .. إلى المكان الذي تركناه أم إلى ما كنا عليه قبل أن يجمعنا القدر ؟ .. إذا كنت أنت تستطيع أن تجد طريق العودة و تتخلص من عواطفك نحوي فأنا لا .. لا أرغب في العودة و لن أتنازل عن حبي لك ؛ لأنني في حياتي لم أملك أثمن من هذا الحب .

عندما توقفت السيارة أمام الشاليه ؛ هتف عادل في حزم :

- شاليه الآنسة على بعد خطوات من هنا يا عم محمد لو سمحت اصحبها إلى هناك ..

هتفت ياسمين في لوعة :

- لا يا عادل أرجوك .. أنت مريض و تحتاج لمن يعتني بك .. اتركني ..

قاطعها هاتفاً :

- أنتِ لستِ ممرضة يا آنسة و أنا أعرف ظروفي و كيف أواجهها .. غداً سأرسل لكِ حقيبتك مع عم محمد قبل سفره ؛ و لو سمحتِ .. لن يكون وجودك هنا موضع ترحيب بعد الآن .

انهمرت دموعها و هي تهتف في لوعة :

- لهذا الحد ترفض وجودي في حياتك ؛ ألا تريد أن تراني بعد الآن ؟

هتف عادل في مرارة :

- لو كنت أستطيع أن أراكِ فعلاً يا ياسمين لما كانت هناك قوة على وجه الأرض تجعلني أغلق بابي في وجهك .. لكنني أعمى .. حاولي أن تتذكري هذا لأنني لن أستطيع أن أنساه .

في تلك الليلة قضت ياسمين واحدة من أسوأ ليالي عمرها فهي لم تتوقف عن البكاء حتى الصباح ؛ و عندما أتى محمد ليعطيها حقيبتها ركبت معه و طلبت منه أن يحملها في طريقه إلى القاهرة فوافق بسرعة و هو يشعر

بارتياح بدا واضحاً في عينيه حتى أنها همست في نفسها :

- يبدو أن عادل ليس الوحيد الذي لا يرغب في وجودي في حياته ؛ فعم محمد يشاركه نفس الرأي .

ظلا طوال الطريق صامتين ؛ و عندما توقفت السيارة أمام فيلا جدها غادرتها و هي تحمل حقيبتها الصغيرة بعد أن شكرته في اقتضاب و دخلت إلى الفيلا ..

كانت شاحبة و آثار الليلة المرهقة تبدو بوضوح على وجهها لكن الجرح الذي في قلبها كان أكثر عمقاً و أشد إيلاماً ؛ لذا ما إن رأت منيرة حتى ارتمت في حضنها و انفجرت باكية و المرأة تهتف في لوعة :

- ماذا حدث يا ابنتي ؟ .. كنت على وشك الاتصال بكِ لأخبرك بأن سيادة السفير قد سافر أخيراً و جدك يتلهف لرؤيتك .

هتفت ياسمين في لوعة :

- أحب يا دادا .. أحب رجلاً طردني من حياته و لا يريد أن يمنحني الفرصة لأجد سعادتنا معاً .

جلست ياسمين في فراشها و هي لا تزال تبكي و تنتحب بعد أن قصت كل ما جرى بينها و بين عادل على المربية التي ظلت تنظر لها و هي مذهولة ؛ قبل أن تهتف :

- لا أصدق .. مستحيل .. أنتِ يا ياسمين تتصرفين بهذه الرعونة ؟ .. صاحبتِ رجلاً لا نعرفه ؛ و قضيت الليل في بيته ؛ و نمتِ في فراشه و سافرتِ معه .. هل فقدتِ عقلك ؟

هزت ياسمين رأسها نفياً و همست :

- لا يا دادا .. حتى هذه اللحظة فقدت قلبي فحسب ؛ لكنني سأفقد عقلي حتماً إذا ظللت بعيداً عنه .. أنا لن أستطيع أن أعيش بدونه .. أحبه يا دادا .. أحبه بكل كياني و لا أعرف كيف أصف لكِ إلى أي مدى لم أعد أستطيع أن أنكر حبي له أو أتنصل منه .. سكنني يا دادا .. احتلني .. سرى في دمي و شرايني كالسحر .. لن أتنفس بدونه .. سأموت يا دادا لو تركني

وحيدة بعد أن وجدت في ظله كل ما كنت أصبو إليه .. حتماً سأموت .

هتفت منيرة في حدة :

- أفيقي يا ياسمين .. ماذا فعل هذا الرجل بكِ ليسحرك على هذا النحو ؟ .. هو يكاد أن يكون في سن سيادة السفير و سبق له الزواج و لديه عاهة و ...

قاطعتها ياسمين هاتفة :

- و لديه قلبي يا دادا .. صدقيني .. لديه قلبي .. و لا أظن أنني سأستطيع أن أعيش بلا قلب .

مسحت ياسمين الدموع عن وجهها قبل أن تذهب إلى المستشفى ؛ لا يزال جدها في غرفة العناية المركزة و صارحها الطبيب بأن حالته رغم خضوعه للجراحة لا تزال حرجة و الأمل في أن يغادر غرفة العناية ؛ و يعود لممارسة حياته كما كان منذ بضعة أسابيع ضعيفاً جداً و يكاد أن يكون في حكم المستحيل ؛ مع هذا سمح لها بزيارته فهو لم يكن فاقداً للوعي ..

ظلت ياسمين تذكر نفسها بأن جدها يقضي أيامه الأخيرة و ربما ساعاته الأخيرة في الحياة ؛ و لا يجب أن تثقل عليه بعبء قلبها لأنه لن يتحمل القلق عليها بأكثر مما يفعل ؛ لكنها ما إن رأت جدها حتى انفجرت باكية ؛ و صارحته بكل ما في قلبها قبل أن تصر على البقاء معه ..

ليومين كان جدها يراها و هي شاحبة كالموتى ؛ بريق الدموع لا يخبو في عيونها الشاردة ؛ و قلبها يبكي أكثر عنفاً .. همس جدها في ضعف :

- فيم تفكرين يا ياسمين ؟

أرادت أن تقول لا شيء لكنها لم تتعلم الكذب على جدها و لم تعد المحاولة مجدية الآن .. لذا همست :

- في عادل يا جدي .. لا أعرف ما إذا كان قد تناول دواءه و شفى أم لا .. هل افتقدني و اشتاق لي كما أفعل ؟ .. هل لا زال ينتظر عودتي أم أنه قد ترك الشاليه ؛ و ربما فعلاً لن أراه طوال حياتي مرة أخرى ؟ .. أنا أحبه يا جدي .. لم أحب أحداً في حياتي غيركما ..

هو طردني و أنت ستتركني ؛ و لا أعرف كيف سأعيش بدونكما .

هتف الجد في لوعة :

- أمل حياتي يا ابنتي هو أن أطمئن عليكِ قبل أن أموت لكنني لا أعرف كيف أفعل .. والدك سافر عندما اكتشف أنني قد تنازلت لكِ عن كل ثروتي و لم يعد هناك ميراث ليستولي عليه و لا أظنه سيعود مرة أخرى و لا حتى ليدفني .. و أمك .. منها لله .. من رمتك و أنتِ قطعة لحم لن تسأل عنك الآن .. و الحياة قاسية يا ابنتي و أنتِ صغيرة و لا يمكنك الوقوف في وجهها وحدك .. لا أعرف ماذا بيدي أن أفعل لأحميك من شر الحياة و الناس .

بكت ياسمين في حرقة ؛ و همست :

- لا تتركني وحيدة يا جدي .. أنا خائفة .. أبي لن يرحمني .. و لا الزمن .. و لا الناس .. مالك قد يجعلني مطمعاً بأكثر مما فعلت سمعة أمي طوال حياتي و قد يهلكني بدلاً من أن يحميني .. أنا أحب عادل و أعرف أنه يحبني كما أحبه .. قد لا يكون هو الزوج المثالي الذي

كنت تحلم به لي ؛ لكنه الزوج الذي يستطيع إسعادي ..

هتف الجد في تردد :

- لكننا لا نعرفه يا ياسمين .. ما يدريني أنه سيكون أميناً عليكِ و على مالك يا ابنتي ؟ .. أنا حتى في ظروفي هذه لن أجد وقتاً و لا فرصة للسؤال عنه ؛ فكيف أثق به ؟

هتفت ياسمين في لهفة :

- قلبي يثق به يا جدي صدقني .. قلبي يثق به .

تنهد الجد في حرارة ؛ قبل أن يهمس :

- قلتِ أنه قد طردك يا ابنتي .. هو لا يريدك في حياته ..

هتفت ياسمين في ثقة :

- طردني لأنه أحبني يا جدي .. أحبني كما أحبه و لا يريد أن يظلمني بظروفه .. إذا تركتني أذهب إليه سأجعله يعترف بأن ما في قلوبنا أقوى منا و لا يمكننا التصدي له ،، صدقني .

كان قلبها يملك آمالاً عريضة في الرجل الذي خفق بحبه و لأجل حبه ؛ و لم تكن تدري ماذا ينتظرها في ظهر الغيب و هي تركب في سيارة جدها و التي انطلق بها السائق عائداً إلى القرية و قلبها يخفق بمنتهى اللهفة ... و في منتهى الخوف .

الفصل السادس

ظل عنتر ينبح و هو يدور حول شاليه جد ياسمين قبل أن يناديه عادل الذي ربت على عنقه في حنان ؛ و هو يهتف :

- يكفي هذا يا صديقي .. من الواضح أنها لم تعد موجودة هنا .. تركتنا و ذهبت و ربما لن نراها أبداً بعد الآن .

سار بجوار الكلب عائدين إلى الشاليه و عادل يهتف :

- أنت أيضاً افتقدتها ؛ أليس كذلك ؟ .. عندما كانت موجودة لم يكن ظلام حياتي شديداً على هذا النحو .. كانت تشرق في الظلمة بصوتها العذب و تبدد عتمتها .. لكن ربما كان ذهابها أفضل فهي لا ذنب لها لتعيش معنا في هذا الظلام .. أتينا هنا بحثاً عن الوحدة يا صديقي لكن الوحدة قبل أن نعرفها لم تكن موجعة إلى هذا الحد .

نبح عنتر بشدة قبل أن يترك صاحبه و يجري مسرعاً نحو الفتاة التي ضمته في لهفة و ربتت على عنقه ؛ قبل أن تسير بجواره إلى

حيث وقف عادل مذهولاً و هو لا يصدق أنها قد عادت فعلاً لتنير حياته من جديد ..

عندما اشتم رائحة الياسمين التي تفوح منها مد يديه نحوها و أمسك بذراعيها ؛ و هو يهتف في لهفة و سعادة :

- لا أصدق أنكِ قد عدتِ مرة أخرى يا ياسمين .. وحشتيني .. وحشتيني أكثر مما تتخيلين .

لهفته تجعلها تشعر بسعادة لا حدود لها و هي تهتف :

- على طول الطريق و أنا مرعوبة .. خشيت أن تكون قد سافرت و لا أراك مرة أخرى .

هتف عادل :

- تخيلي أنني فكرت في السفر فعلاً .. المكان هنا موحش بدونك .

تساقطت قطرات المطر على وجهيهما فأحاط كتفها بذراعه ؛ و هما يسرعان الخطا نحو الشاليه و عنتر يعدو أمامهما و هو ينبح في سعادة ..

في دفء الردهة وضعت ياسمين كوباً من الكاكاو في يد عادل الذي أجفل عندما لمست كفه عفواً قبل أن ينسكب السائل الساخن على أنامله و هو يهمس :

- لماذا عدت يا ياسمين ؟

لم يكن يجلس على مقعده الهزاز كالعادة بل كان يجلس على الأريكة فجلست بجواره ؛ و هي تتأمله في حنان قبل أن تهمس :

- ألم تكن تريد أن أعود ؟

تنهد عادل في حرارة و هتف :

- قد أكذب على نفسي بادعاءٍ كهذا ؛ لكنني لا أستطيع أن أكذب عليكِ يا ياسمين .. كنت أتمنى عودتك بشدة .. قلبي كان يبتهل في لهفة لتعودي بسرعة .. صوتك يشرق في ظلام حياتي و يجعلني أشعر بسعادة لم أذق طعمها في حياتي إلا و نحن معاً .. غني لي يا ياسمين أرجوكِ .. وحشني صوتك .

سالت دمعة على أهدابها و هي تهتف في صدق :

- دلني أين أجد أغنية تصف شعوري نحوك ؛ و أنا لن أتوقف أبداً عن الغناء .

ارتجف بشدة و هو يشعر بالصدمة لحرارة كلامها و صدقه و عندما بدأ الكاكاو ينسكب على يده أمسكتها بكفيها و هي تشدو :

- عنـدي إيمان أكـيد
إنـك إنـت الـوحيد
اللي لا استغنى عنه
و لا أعيش لو كان بعيد

هـي الأزهـار بتحـيا
أبـداً من غير غصـون
و ألا الألحان بتشجي
مـن غير نغم حنون

أنا زيهم يا روحي
و لولا أنت ما أكون
و تهون الروح عليّ
و ألا يمكن يوم تهون

سحب كفه من بين يديها و هب واقفاً ؛ و هو يهتف في لوعة :

- كفى يا ياسمين .. كفى أرجوكِ .

هتفت في حرارة :

- إذا لم تكن تصدق صوتي اسمع قلبي يا عادل .. قلبي يحبك بجنون .

هتف عادل في حدة :

- الجنون هو الوصف الوحيد المناسب لما تقولينه الآن .. أنا أعمى يا ياسمين .. أعمى .. أنتِ لن تهدري حياتك مع شخص لن يستطيع أن يرَ جمالك و يقدره .

نهضت ياسمين ؛ و هي تهتف في لوعة :

- بل أنت الشخص الوحيد الذي يراني على حقيقتي يا عادل .. تراني بقلبك .. صدقني يا عادل .. قلبك يراني و يحب ما يراه ؛ و حتى لو كان لسانك ينكر هذا فإنني لن أصدقك .. لأنني أعرف أن قلبك يراني و يحبني كما أحبك و ربما أكثر .. فلا تصر على تعذيبي و تعذيب نفسك .

ارتمى فوق مقعده الهزاز و هو ينكس رأسه و الدموع تترقرق في عينيه و الأفكار تعصف برأسه في سرعة جنونية ؛ لأول مرة يعثر على الفتاة التي تحبه بصدق ؛ لا يستطيع أن يراها لكن قلبها أمامه كالكتاب المفتوح و هو يعرف أن المشاعر المجنونة التي تمزقهما الآن صادقة و حقيقية و جياشة ؛ نبتت من العدم لكنها ترعرعت بقوة و مدت جذورها إلى أعمق أعماق القلب و ليست هناك قوة في الكون تستطيع اقتلاعها من قلبها أو من قلبه ..

لكنه ليس حراً الآن ليعدها بالسعادة التي تستحقها ؛ لأنه لا يعرف إذا كان يستطيع أن يهبها هذه السعادة أم لا .. أكد له كل الأطباء على أن إعاقته ليست دائمة و أنه قد يستعيد بصره من جديد إذا خضع للجراحة المناسبة ؛ و شقيقه أكد له هذا و طالبه بالسفر إليه بسرعة للخضوع إلى الجراحة هناك و لكن .. قد يكونون متفائلين أكثر من الحقيقة و ربما وعدوه بأمل لا يملكون تحقيقه ؛ فهل يقبل بأن يجرها معه إلى عالم حالك السواد أو أن يحكم

عليها بأن تعيش في ليلٍ لا نهار له ؟ .. هب واقفاً مرة أخرى و هو يهتف في حزم :

- لا .. مستحيل .. ارحلي يا ياسمين .. ارحلي أرجوكِ .

انهمرت الدموع تغرق وجهها و هي تشعر بقسوة الخنجر الذي انغرس في قلبها بلا رحمة ؛ قلبها الذي أحبه بجنون و لم يترَو للحظة ليعرف إذا ما كان هو أيضاً يحبها و لا يستطيع الاستغناء عنها كما هو حالها أم لا ..

سارت نحو باب الشاليه و هي تترنح ؛ و عندما كادت أن تسقط سقطت بين ذراعيه ؛ و هو يضمها في حنان و لهفة هاتفاً :

- لا أحتاج لأن تراكِ عيوني لأعرف أين أنتِ يا حبيبتي ؛ أنا أشتم رائحة الياسمين التي تفوح منكِ و أسمع خفقان قلبك و أشعر بدفء الدموع التي تسيل من عينيك بدون أن ألمسها لأنني أراها يا ياسمين .. أراها بقلبي .

قبلها في حرارة جعلتها تشعر بأنها تذوب بين ذراعيه قبل أن يكبح عواطفه بقوة و يبتعد عنها و هو يلهث ..

للحظة ظلت ترتجف و هي تشعر بأنه تركها مهجورة قبل أن يلمس وجهها و يمسح دموعها في رقة و حنان هامساً :

- ياسمين .. أنتِ لازلتِ في براءة الأطفال و أنا لا أستحق كل تلك البراءة .. شخص مثلي .. شخص في ظروفي لن يستطيع إسعادك .

هتفت في خوف :

- لأنك لا تحبني ؟

هتف في مرارة :

- بل لأنكِ تستحقين من هو أفضل مني بكثير .. تستحقين رجلاً يستطيع أن يرَ جمالك و يقدره و أنا للأسف أعمى .. لا أستطيع أن أجرك إلى عالم الظلام الذي أعيش فيه .

ارتمت بين ذراعيه و هي تهتف :

- و إذا كنت أنت الرجل الوحيد الذي يريده قلبي و يستطيع إسعاده .. سعادتي أنت .. سعادتي وجودنا معاً .. أنت سلبتني قلبي و لم تخيرني عندما فعلت .

هتف عادل في أسى :

- و لا أنا اخترت .

لا فائدة من الجدال معه ؛ إذا كان يصم قلبه قبل أذنيه عن سماعها ؛ فماذا بيدها أن تفعل ؟ .. لم يعد لوجودها هنا معنى ..

انتزعت نفسها بعيداً عن صدره ؛ و همت بالذهاب إلى باب الشاليه لكنه أمسك ذراعها و هو يهتف في جزع :

- لا .. الرعد يدوي بالخارج و لن أسمح لكِ بالذهاب الآن .

تدفقت دموع اليأس من عينيها ؛ و هي تهتف في لوعة :

- و لماذا أبقى يا عادل ؟ .. أنت لا تحبني و لا ترغب في حبي .

هتف عادل في مرارة :

- أنا لا أعرف ما هو الحب يا ياسمين .. ظننت أنني قد عرفته مرة لكنني أفقت من نشوتي لأجد نفسي مجرد مغفل أعمى لا يستطيع أن يبصر حتى كف يده .

انتزعت ذراعها في كفه و هي تهتف في ألم و ثورة :

- الافتتان غير الحب يا عادل .. و إذا كان ما تشعر به نحوي هو ما جمع بينك و بين تلك الساقطة فلا أريده و لا يلزمني ..

تنهد في حرارة ؛ قبل أن يهمس في صدق :

- لا يا ياسمين .. أنتِ لستِ مثلها و لا مثل أية امرأة أخرى في هذا الكون .. قلبي يخفق بكِ و لا يكف عن الهمس باسمك و لو للحظة .. عندما ذهبتِ كاد عقلي أن يذهب خلفك و يتركني كالمجنون .. لكنني لا أريد أن أظلمك معي .. و إذا كان عليّ أن أضحي بقلبي و عقلي و حتى بحياتي لأنقذك من التعاسة فلن أتردد .

تنهدت في ارتياح ؛ عادل يحبها كما كانت تتمنى و لا تريد شيئاً من العالم بأسره أكثر من هذا ؛ همست :

- التعاسة هي الشعور الذي لم يفارقني طوال حياتي حتى التقيتك .. أنا لم أعرف طعم السعادة إلا معك أنت فحسب يا عادل .. سعادتي هنا .. سعادتي معك .. لا تتخيل

و لو للحظة أنني من الممكن أن أجدها بعيداً عنك ؛ و لا مع أي رجل سواك لأنني أحبك أنت و لن أحب رجلاً سواك .

وضع يديه على كتفيها و هو يهمس :

- أنتِ مجنونة يا ياسمين .. مجنونة لن يكون للحياة طعم بدونها ؛ لأنكِ جعلتيني أكثر جنوناً منكِ .

جذبها إلى صدره و ضمها في شوقٍ و لهفة فهمست :

- دعنا نتزوج غداً يا عادل .

قبل جبينها ؛ و هتف في رقة :

- حبيبتي الزواج ليس بهذه البساطة .. الزواج يحتاج إلى ترتيبات كثيرة .

هتفت في سذاجة تتناسب مع سنها :

- الزواج يحتاج إلى مأذون و سنأخذه معنا و نذهب إلى جدي في المستشفى .

ابتسم عادل ؛ فطرتها البريئة غاية في الغرابة لكنها تسعده أكثر مما تخيفه و هتف :

- أتعنين أن جدك يوافق على زواجنا ؟ .. هو لا يعرفني بعد يا ياسمين ؛ و من حقه أن يتأكد من أنني سأكون جديراً بكِ .

رفعت رأسها تنظر إلى وجهه ؛ و هي تهتف في حماس :

- جدي يعرف أنك الرجل الوحيد الذي يملك قلبي و لن أكون لرجلٍ سواك .

لا يستطيع أن يجد أمامه كل هذا الحب و يظل راغباً في المقاومة ؛ من الذي يجد تحت قدميه كنزاً و يتركه و يمضي في طريقه ؟ .. ضحك في سعادة و هو يهتف :

- كم الساعة الآن ؟ .. يبدو لي الغد بعيداً جداً ؛ و لا أقوى على انتظاره .

هتفت ياسمين في ارتياح :

- لقد انبلج الفجر منذ قليل و سيارة جدي و سائقه في الخارج .. فهل نذهب الآن ؟

كان الطريق هذه المرة يبدو طويلاً جداً و لم يتوقف المطر عن الانهمار ؛ و ياسمين تجلس

على الأريكة الخلفية بالسيارة و عادل يحيطها بذراعه لتشعر بالدفء و الأمان .

كانت الرحلة هذه المرة ليست ككل مرة ؛ و حتى عنتر الجالس بجوار السائق كان يشعر بهذا و هو ينبح من وقتٍ لآخر .. ما إن وصلت السيارة إلى القاهرة حتى هتفت ياسمين :

- لا تنسَ أن تمر على مكتب المأذون يا عم حسين .. جدي ينتظر أن نحضره معنا .

هتف عادل في توتر :

- ليس بهذه السرعة يا ياسمين .. امنحيني الفرصة لأتعرف على جدك و أقنعه بي .. و لنستعد لترتيبات الزواج .. لا يمكنني أن أمنحك زفافاً يليق بك في هذه الظروف لكن على الأقل يمكننا شراء الشبكة و أثاث مناسب للفيلا و ثوب زفاف .. هذه أبسط حقوقك عندي .

هتفت ياسمين في لهفة :

- الحق الوحيد الذي أتمسك به هو حقي في وجودي في حياتك يا عادل .. عدني بأنك لن

تحرمني من هذا الحق مهما حدث .. عدني بأنك ستظل تراني دوماً كما تراني الآن .. بقلبك لا بعيون الناس .. لأن قلبك سيشفع دوماً لي مهما حدث و لن يسمح لك بأن تظلمني .

قبل كفها و هو يهتف :

- كنت على الأيام معي يا ياسمين و لن أكون أبداً مع الأيام عليكِ مهما حدث .. هذا وعد .

اندست في دفء صدره لتشعر بالأمان ؛ لا يخيفها أن يكتشف عادل ما تخفيه عنه ذات يوم .. قلبه سيشفع لها و الحب سيدافع عنه و يقف في صفها ؛ و إذا عاداها كل الناس و وقفوا ضدها فلن تبالي .. لأنه سيبقى في صفها إلى الأبد و مهما حدث .. لكن .. لا أحد يمكن أن يعلم ما الذي تخفيه الأيام .

كان الطبيب يفحص كمال الذي كانت حالته تزداد سوءاً عندما دخلت ياسمين إلى الغرفة و هي متعلقة في ذراع عادل ؛ ما إن رأت جدها حتى اندفعت نحوه و هي مذعورة فابتسم بصعوبة و هو يهمس :

- أهذا هو ذلك الشاب ؟ .. أصدق ظنك به و أتى معكِ ؟

انهمرت الدموع من عينيها و هي تهتف :

- قلت لك أنني واثقة من حبه لي ؛ عادل هنا و المأذون ينتظر مع عم حسين خارج الغرفة لكن لا تتكلم يا جدي أرجوك .. لا تجهد نفسك .

هتف الجد في صوتٍ أتى كحشرجة ضعيفة :

- لو كان هذا آخر نفس في جسدي فإنني سأبتهل إلى الله بأنني لن ألفظه قبل أن أحقق أملك و ءأتمن الرجل الذي ملك قلبك عليكِ .. لقد عشت لسنوات أكافح لأظل حياً حتى هذه اللحظة بالذات .. دكتور .. أريدك أن تشهد على عقد زواج حفيدتي .

هتف الطبيب في قلق :

- كما تريد يا سيادة المستشار و ألف مبروك ؛ لكن لا تجهد نفسك في الكلام .. لو سمحت .

الفصل السابع

وقفت ياسمين عند قبر جدها و هي تبكي في صمت ؛ لا تصدق أنه قد مر أسبوعين منذ وفاته ؛ لفظ آخر أنفاسه و هو لا زال يحمل القلم الذي وقع به وثيقة زواجها و لا تدري لما كانت الحياة بهذه القسوة معها فلم تترك لها و لو لحظة واحدة تشعر فيها بفرحة العرس ..

و والدها كان أشد قسوة فقد اتصلت تخبره بوفاة والده فنهرها و قطع الاتصال ؛ و كما توقع جدها لم يحضر مراسم الدفن أو الجنازة و لا تدري كيف طاوعه قلبه على هذا .. هذا إذا كان له قلب ..

أخبرها المحامي بأن جدها قد تنازل لها عن الفيلا بعقد هبة مشروطة يعطيها وحدها حق التصرف فيها بعد بلوغها سن الرشد كما أنه قد صفى باقي ممتلكاته و حولها إلى وديعة تستطيع سحب ريعها لكن الوديعة نفسها لا يتم فكها إلا بعد زواجها أو بلوغها سن الرشد ..

كان جدها حريصاً على ألا يسمح لوالدها بالتحكم في مصيرها و قد رعاها بعد موته كما رعاها دوماً في حياته ..

وضع عادل ذراعه حول كتفها و ضمها إلى صدره فهمست :

- لا أصدق أنه قد رحل إلى الأبد و لن أراه مرة أخرى .

قبل جبينها و هو يهمس :

- الموت هو الوجه الآخر للحياة يا حبيبتي و لا مفر منه .. سبحان من له الدوام .

رفعت وجهها تنظر إلى عادل و هي تفكر في أنه لولا وجوده معها ربما لما استطاعت أن تتجاوز خسارتها ؛ لقد أهداها به القدر في اللحظة المناسبة ليخفف عنها و يجعلها تستطيع الوقوف على قدميها في وجه كل ما تمر به ..

صحبها عادل إلى خارج المقابر حيث كانت سيارة جدها و سائقه يقفان في انتظارهما و عندما ركبا في السيارة همست :

- لا أريد البقاء في الفيلا يا عادل أرجوك .. دعنا نذهب إلى الشاليه .

تنهد عادل في ارتياح و هو يفكر في أنها أخيراً قد بدأت تتجاوز محنتها و ستقاوم الحزن الذي يقتلها و ستمنحه الفرصة ليكون قريباً منها ليرتشفا معاً من كأس الشوق الذي يكوي قلبه ..

كان قلبها يشعر بالحنين إلى الجنة التي عرف بها طعم الهوى الذي طرق أبوابه و سكن دروبه و ذوب حناياه ؛ و كانت تعرف أنها تتوق إلى السعادة و أن السعادة لا زالت تنتظرها هناك ..

فالرجل الجالس بجوارها على طول الطريق و هي متعلقة بذراعه و تركن رأسها على كتفه هو زوجها الآن ؛ و لا توجد قوة في الحياة تستطيع أن تفرق بينهما .. حتى الماضي ..

عندما توقفت السيارة أمام الشاليه أسرع عنتر يغادرها قبلهما و هو يهز ذيله ؛ بينما فتح

حسين باب الشاليه و حمل الحقائب إلى الداخل ؛ قبل أن يضع المؤن التي قاما بشرائها في المطبخ و المبرد ؛ ثم ركب السيارة و انطلق عائداً إلى القاهرة .. حينئذٍ شغلت ياسمين مكيف الهواء و هي تهتف :

- ينتابني شعور غريب ؛ و كأننا هنا لأول مرة .

أحاطها عادل بذراعيه و هو يهتف :

- هي أول مرة يا حبيبتي .. أول مرة في كل شيء .. لأن هذه أول مرة لنا معاً و أنتِ زوجتي .. ألست زوجتي الآن يا ياسمين ؟

كاد أن يقبلها فضحكت و همست :

- ألا ترى ؟ .. لسنا وحدنا هنا ..

نبح عنتر و كأنه يؤمن على كلامها ؛ فغمرها عادل بين أحضانه و هو يهمس :

- إن كان يغار فليبحث له عن زوجة .

مرت أيام كأنها لحظات ؛ في دفء صدره لم يعد للزمن قدر أو معنى ؛ و المكان المهجور الذي تمزقه برودة الشتاء بات هو الجنة التي لا ترغب ياسمين في الخروج منها أبداً ..

عند شاطئ البحر كانت تقف و هي تحيط عنق عادل بذراعيها و هو يحيط خصرها بذراعيه و هما يتبادلان القبلات في شوقٍ و لهفة قبل أن يهمس :

- لا أصدق أنني لا أستطيع أن أرَ الحورية التي تجعلني أعيش في الجنة .. دعينا نسافر يا ياسمين ؛ فلنذهب إلى لندن و نكمل شهر عسلنا هناك .

همست في حيرة :

- لندن ؟ .. في هذا الطقس ؟ .. لما لندن بالذات ؟

ابتسم عادل و هتف في أمل :

- لأروي ظمئي برؤية أجمل امرأة في هذا الكون .. أمامي فرصة للشفاء و استعادة بصري كما كان قبل الحادث .. أحمد شقيقي أكد لي على أن الجراحة آمنة و مضمونة .. هل قلت لكِ من قبل أنه يدرس طب العيون هناك ؟ .. حصل على الماجستير لتوه و سيبقى حتى يحصل على الدكتوراة .

بهت وجهها و جف ريقها قبل أن ترتمي في حضنه دون أن تنطق بحرفٍ واحد ؛ غمرها عادل بين ذراعيه و هو يشعر بالارتجافة التي تسري في جسدها ؛ و همس في قلق :

- ما بكِ يا ياسمين ؟ .. أتشعرين بالبرد ؟ .. هل نعود إلى الشاليه ؟

ظلت صامتة حتى عادا إلى الشاليه و أغلق عادل الباب خلفهما ؛ جلست على الأريكة و هي لا تزال ساهمة و الدموع تلمع في عينيها ؛ بينما شغل عادل مكيف الهواء و الأغاني على هاتفه و هو يهتف :

- هذه المرة .. أنا سأختار ما نسمعه .. ما رأيك في وردة ؟ .. قلبي سعيد .

جلس عادل على مقعده الهزاز في استرخاء ؛ عندما همست :

- عادل .. لما لم تقل من قبل قط أن أمامك فرصة للشفاء ؟

زفر في حرارة قبل أن يهمس :

- لأنها ليست مضمونة أو مؤكدة يا حبيبتي .. لكنني آمل في أن الله لن يخذلني .

سالت الدموع على وجهها و هي تفكر في أن خروجها من الجنة قد يكون وشيكاً جداً ؛ هي لم تطمع في التفاحة المحرمة لكنها ارتكبت الخطيئة التي ستمهد لها الطريق إلى جهنم بنية طيبة .. كذبة صغيرة .. لكن ؛ هل سيراها عادل مجرد كذبة صغيرة عندما يرى وجهها و يعرف كم عمرها و من أمها ؟ .. هل سيفهم ؟ .. هل سيقدر ؟ .. هل سيغفر ؟ .. هل ستظل في قلبه نفس المرأة التي يهيم بها عشقاً الآن أم ستصبح مجرد غريبة لم يعد لها مكان في حياته ؟ .. همست :

- إذا عاد إليك بصرك و رأيتني .. ربما تتغير عواطفك نحوي .. ربما لا تحبني كما تحبني الآن .. أنت أحببت صورة في خيالك لن تجدها بي عندما تراني .. و ربما لا يعجبك ما تراه .

ابتسم عادل و أشار لها بالاقتراب منه ؛ جلست على قدميه و أحاطت عنقه بذراعيها كما اعتادت أن تفعل ؛ فمد أنامله ليمسح دموعها و هو يهمس :

- أنتِ أول امرأة في حياتي يا ياسمين و ستظلين الأخيرة حتى أموت .. قلبي لم يعرف الحب قبل أن يعرفك و جسدي لم يمس امرأة قبلك قط

.. أنت أول نبضة ؛ و أول قبلة ؛ و أول همسة في حياتي .. أشعر بأنني أسعد رجل في الكون و أنتِ بين ذراعيّ و لا شيء في العالم يمكن أن يغير شعوري هذا ..

عانقها في حرارة ؛ قبل أن يهمس :

- *صوتك هو الشمس التي تضئ لي ظلام حياتي كلها .. غني يا ياسمين .. غني لي .. أريد أن أسمعك طوال الوقت .. صوتك أرق من صوت البلابل و العصافير ؛ و شدوك أغلى نغم في حياتي و بدونه لا حياة لي .*

مد يده إلى الهاتف و أغلقه ففكرت ياسمين في أنها لا تزال في الجنة و لن تترك مخاوفها تفسد عليها جنتها ؛ فبينهما وعد تعرف أنه لن يخلفه .. لذا ابتسمت و هي تشدو :

- ***حبك جالي في وقته يا روحي***

جالي في وقته في وقته تمام

جالي ملاني سعادة مشفتش

زيها كدة و لا في الأحلام

مين يتصور إن هنايا
فوق الوصف بأحلى معاني

و ألا يصدق لما أقوله
إن زماني سمح و إداني

عانقها في حرارة فتوقفت عن الغناء و هي تذوب بين ذراعيه ؛ لم يعد هناك مكان للماضي في حياتها و ليس هناك ما تخشاه ؛ كل ما تحتاج إليه هو أن تتمالك شجاعتها و تعترف له بالحقيقة .. عادل يحبها حقاً و لن يلومها على مجرد تصرف طائش لم تقصده و لا على الأم التي لم تختارها لنفسها .. لكن الشجاعة كانت مطلباً صعباً و لم تحصل عليه ..

في الصباح التالي عندما فتحت عيونها كان عادل يحيطها بذراعيه و هو يدفن وجهه في شعرها كالعادة ؛ لم تكن تعرف ما إذا كان

نائماً أم لا عندما تنهدت في حرارة .. هتف في حنان :

- حبيبة قلبي .. فيما تفكر ؟

ربما لو كانت تنظر إليه لما واتتها الفرصة لتبوح بما ترغب في الافصاح عنه ؛ لكنها كانت توليه ظهرها و هو يغمرها بجسده و أنفاسه الحارة تداعب رقبتها و أذنها و هو يهمس :

- هل هو سر ؟ .. ربما كذبة صغيرة تقلق حبيبتي على هذا النحو .

انتفضت ؛ ما يدريه أنها قد كذبت عليه ؛ هل أخبره أحد بالحقيقة ؟ .. نعم و لما لا ؟ .. عم محمد سائقه مثلاً أو أحد الخدم في فيلا جدها قد انزلق لسانه أمامه بما تخفيه ؛ فلا أحد يعلم أنها تخفي عن زوجها ؛ ما يراه الجميع عداه .. لكنه ليس غاضباً ؛ فهل يعني هذا أنه قد سامحها ؟ .. همست في توتر :

- و إذا كانت هناك كذبة ؟ .. كذبة صغيرة و لم تكن مقصودة .. هل تغفرها لي ؟

ابتسم عادل و هو يهمس :

- هذا يتوقف على اللون .. هل هي كذبة بيضاء ؟ .. أم أنها شقراء و زرقاء العينين .

لوهلة لم تفهم ماذا يعني ؛ و عندما فهمت ترقرقت الدموع في عينيها و هي تهمس :

- أتظن أنني لست شقراء كما قلت لك من قبل ؟ .. ماذا لو كانت الكذبة من هذا القبيل فهل تشكل فارقاً بالنسبة لك ؟

دارت حول نفسها لتواجهه ؛ حدقت في وجهه كأنها تنتظر أن ترَ الإجابة في عينيه ؛ و هي ترتجف خوفاً مما يمكن أن يقول ؛ و كان يشعر بارتجافتها فابتسم هاتفاً :

- و هل الموضوع يهمك لهذا الحد ؟ .. ياسمين .. حبيبتي .. شقراء كنت أم سمراء .. حتى لو كنتِ زرقاء البشرة لا العينين سأظل أحبك .. جسدك هذا ملكي و أعشقه من كل قلبي و بدون أن أراه ؛ و لن يشكل فارقاً عندي أن أراه أو لا أراه .. لأنه مجرد وعاء للروح التي سحرتني و القلب الطاهر الذي ملكني .. أنتِ أجمل ما في حياتي يا عمري .. بل أنتِ حياتي كلها .. و لا شيء في هذا العالم يمكن أن

ينتزع حبك من قلبي أو أن يحول بيني و بينك مهما كان .

شعرت بالارتياح و غمرتها السعادة ؛ و هو يغمرها بين ذراعيه و يعانقها في حرارة ؛ و ظلت تشعر بالسعادة عندما سار عادل إلى الشاطئ و عنتر بجواره ؛ بينما وقفت في المطبخ تعد طعام الغداء و هي تغني :

- ***عندي شعور ورداية بترقص بين أغصان***
حاسة بنشوة عصفور غناله الكروان

آه لو تعرف بس يا غالي
إنت بقيت إيه بالنسبة لي

روحي عقلي قلبي أملي
إنت المنى من غير تحديد

من وقتٍ لآخر كانت تنظر إلى النافذة لتراه فتزداد سعادتها قبل أن تسمع صوت محرك سيارة تتوقف أمام الشاليه ؛ نظرت فرأت سيارة جدها و منيرة تغادرها ..

اندفعت ياسمين إلى الخارج حيث ارتمت في حضن المربية التي اشتاقت لرؤيتها ؛ و هي تهتف في سعادة :

- وحشتيني .. وحشتيني يا دادا .. لن تصدقي كم أنا سعيدة ؛ أشعر بأنني أعيش في الجنة .. عادل ملاك يا دادا و لا يمكن أن أتخيل كيف كنت سأعيش حياتي بدونه .

كانت منيرة محتقنة الوجه و هي ترى السعادة في عيون ياسمين ؛ باتت تعرف الآن كم هي مخدوعة و لا يمكن أن تتركها مخدوعة إلى الأبد ؛ فهتفت في ثورة :

- بل هو شيطان سافل و معدوم الضمير .. تلاعب بمشاعر طفلة ساذجة و غبية و لا ترى حقيقته لمجرد الانتقام من المرأة التي أهدرت شرفه و كرامته و جعلت اسمه على كل لسان .. أفيقي يا ياسمين و تعالي معي إلى بيت جدك .. لا يمكن أن تعيشي و لا دقيقة أخرى مع هذا الحيوان .

نظرت ياسمين إلى منيرة في ذهول ؛ قبل أن تهتف في استنكار :

- أنتِ تهذين ؛ أليس كذلك ؟ .. أنتِ تتحدثين عن أي شخص في هذا العالم لكن ليس عن عادل .. عادل يحبني يا دادا و يهتم بي .. أنتِ لا تعرفين كيف يعاملني .. دادا .. أنتِ تعلمين كم أحبك .. أنت الأم الوحيدة التي أعرفها .. لكن حتى مع هذا لن أسمح بأن تمسي عادل و لا بكلمة واحدة .

ألقت منيرة صحيفة معروفة في وجه ياسمين ؛ و هي تهتف بحدة :

- يمكنك أن تصمي أذنيكِ عن سماعي لكن افتحي عينيك على الحقيقة قبل أن تدافعي عنه .

نظرت ياسمين إلى الصحيفة التي سقطت على الأرض في ذعر ؛ ينتابها شعور مريع بأنها لا ترغب في النظر إلى ما في الصحيفة أو معرفة الحقيقة التي تتحدث عنها منيرة ..

منذ صغرها و هي تعي أنها لن ترَ في الصحف سوى صورة أمها مقرونة بفضيحة ما ؛ لذا لا ترغب في قراءة أية صحيفة على الإطلاق ..

لكنها هذه المرة و هي ترى صورة أمها على الغلاف شعرت بالفزع أكثر من كل المرات السابقة لأن ثريا لم تكن الوحيدة الموجودة عليه ..

انحنت ياسمين و التقطت الصحيفة بأصابع ترتجف و فتحتها .. مرت عيونها على العناوين و الصور قبل أن تتساقط دموعها و هي تهوي جالسة على الرمال و هي تشعر بالأرض تميد من تحتها ؛ كانت منيرة تدرك كم أن الصدمة قاسية و كذلك حسين الذي غادر السيارة و مد يده لها كي تستند إليها و تنهض و هو يهتف :

- هيا يا ابنتي .. دعينا نعيدك إلى البيت .

بيتها هنا .. و زوجها هنا .. و كل سعادتها و أحلامها و مستقبلها هنا .. لا يمكن أن يكون كل هذا وهم أو سراب .. لا يمكن أن يكون قلبها قد خذلها على هذا النحو ..

تجاهلت اليد الممدودة نحوها و هي تنظر إلى عادل الواقف يبلل قدميه بالماء و عنتر يلهو حوله قبل أن تهمس :

- مستحيل .. كل هذا كذب يا دادا .. مستحيل .

ظلت ترتجف كريشة في مهب الريح و هي تسير نحو عادل بخطى مترنحة قبل أن يمد لها يده كالعادة و هو يبتسم هاتفاً :

- تعالي يا حبيبتي .. وحشتيني .. لا تتركيني وحيداً بعد الآن و لا للحظة واحدة ؛ فأنا لا أطيق الحياة بدونك .

ظلت تنظر إليه بعيون دامعة قبل أن تهمس :

- عادل .. طليقتك التي ..

قاطعها هاتفاً في دهشة و ضيق :

- ثريا ؟ .. ماذا عنها ؟ .. لا تلوثي جنتنا بذكر اسمها يا عمري و لا تفسدي بهجتنا بالتفكير فيها .. ما الذي ذكرك بها الآن ؟

تساقطت الدموع على وجهها و هي تهمس :

- ثريا .. ثريا كمال هي طليقتك .. لا .. لا .. مستحيل .

الفصل الثامن

لا تدري ياسمين كيف انسحبت من أمامه و اندفعت عائدة إلى منيرة لترتمي في حضنها و هي منهارة ؛ عندما ركبت السيارة بجوار منيرة و انطلق حسين بها مسرعاً كانت الدموع تسدل وشاحاً سميكاً على وجهها كما كانت الصدمة تضرب ستاراً على عقلها و توقفه عن التفكير ..

مع هذا ظلت ترى الكلب الذي اندفع يتابع السيارة و هو ينبح لعدة أمتار قبل أن يعود إلى صاحبه الواقف متخبطاً في ظلمة الحيرة و العمى و هو يهتف باسمها بعلو صوته في فزع و ما من مجيب ..

ظلت تنظر إلى الصحيفة التي في يدها في ذهول حتى توقفت السيارة في حديقة الفيلا بالمعادي قبل أن تساعدها منيرة على مغادرة السيارة و تسندها إلى غرفتها حيث ارتمت ياسمين في الفراش و دفنت وجهها في الوسادة و انفجرت تبكي و تنتحب في حرقة ..

لساعاتٍ ظل عادل و عنتر يجوبان القرية المهجورة إلا منهما بحثاً عنها بلا جدوى قبل أن يأتِ محمد بالسيارة مسرعاً و يتوقف أمام الشاليه ؛ فاندفع نحوه عادل و هو يهتف في ذعر :

- خذني إلى فيلا المعادي يا عم محمد فوراً .. ياسمين تركتني .. لا أفهم كيف تفعل هذا بي ؟ .. و لا أصدق أنها يمكن أن تهجرني هكذا حتى بدون كلمة واحدة .. و لما ؟ .. لما تتركني ؟ .. كنا في منتهى السعادة ؛ كيف تفعل هذا بي ؟ .. خذني لها يا عم محمد أرجوك .. بسرعة .

أخرج محمد نسخة من الصحيفة من داخل السيارة و هو يهتف :

- البنت معذورة يا دكتور ؛ كان الله في عونها .. و يسامحني على ما فعلت .. لكنني عندما رأيتها و ظننت أنها قد تكون ابنتها لم أتخيل قط أنك ستتزوجها .. لما هي بالذات من بين كل نساء الدنيا ؟ .. حرام عليك .

كان عادل يشعر بأن عقله يدور في حلقة مفرغة ؛ و يكاد أن يفقد صوابه ؛ و هو يهتف في حدة :

- لا أفهم حرفاً مما تقول .. هل تعلم لما تركتني ياسمين ؟ .. ما الذي يحدث بالضبط ؟

وضع محمد الجريدة في يد عادل ؛ و هو يهتف في ضيق :

- كل شيء منشور هنا يا دكتور و لابد من أنها قد قرأت و عرفت بما ورطت نفسها به .

أمسك عادل الصحيفة و مزقها بحدة و الغضب يعربد في قلبه ؛ هو أعمى و إذا كان كل الناس يستطيعون أن يقرؤوا الصحيفة و يرون ما جعل حبيبته تهجره على هذا النحو فهو الوحيد الذي سيظل عاجزاً عن رؤية الحقيقة ..

شيء ما اخترق عالمه فجأة و يحاول هدمه رأساً على عقب و هو لن يسمح بهذا مهما كان الثمن .. ياسمين حبيبته و زوجته و العالم بأسره لا يستطيع انتزاعها منه .. نظر إليه محمد في إشفاق قبل أن يهمس :

- صحفي ابن حرام تلصص عليك أنت و الست ياسمين و التقط لكما بضعة صور .. صور فاضحة .. و نشر صور عن قضية الست ثريا و فضيحة طلاقكما .. كتب كلاماً كثيراً عن ياسمين هانم .. استغفر الله العظيم ..

احتقن وجه عادل ؛ و هو يهتف في ثورة :
- ياسمين زوجتي .. من ينطق بكلمة سوء واحدة في حقها سأقطع له لسانه .

هتف محمد في حدة :
- الزواج من أساسه باطل يا دكتور .. كيف تتزوج الأم و ابنتها في شهرٍ واحد ؟

هز عادل رأسه و هو يحاول استيعاب ما يقوله محمد في صعوبة ؛ بدا الأمر و كأنه يهذي قبل أن يبتلع الصدمة و هو يهمس :
- أتقصد ثريا ؟ .. ثريا أم ياسمين .. مستحيل .. طبعاً مستحيل .. هذا تخريف .

شعر بدوار يكتنف عقله و هو يترنح قبل أن يمد محمد يده إليه و يساعده على الجلوس

داخل السيارة قبل أن ينطلق بها متجهاً إلى القاهرة .

انتابه شعور بأن هذا كله مجرد كابوس .. أبشع كابوس يمكن أن يراوده طوال حياته .. لكنه سينتهي .. حتماً سينتهي عندما يفتح عينيه على ظلام حياته التي لا ينيرها سوى صوت ياسمين .. يجب أن يصل لها بسرعة ؛ يجب أن تسمعه ؛ هي تعرفه أكثر من أي شخص في هذا العالم و عندما يقسم لها على أنه لم يغرر بها أو يخدعها ستصدقه ؛ ياسمين دوماً تصدقه .. لأنها ستسمعه بقلبها و لن تصدق أية كلمة سوء تقال في حقه مهما قال لها الناس ..

تمزق عقله في عاصفة من الأفكار و صوتها يخترق رأسه و هو يجمع كل الأجزاء جنباً إلى جنب حتى تكتمل الصورة .. الصورة التي كان سيراها ببساطة و منذ أول وهلة لو لم يكن أعمى :

- عمري سبعة و عشرون سنة .. عمري سبعة و عشرون سنة .

عندما تردد صوتها في رأسه انتفض عادل بشدة حتى أن محمد قد شعر بالذعر من تصرفه المفاجئ و ضغط مكابح السيارة فتوقفت و هي تصدر صريراً عالياً .. و هتف في قلق :

- ء أنت بخير يا دكتور ؟

هتف عادل في استنكار :

- لا .. أكاد أن أفقد عقلي .. كل هذا جنون .. امرأة في سن ثريا كيف تنجب شابة في سن ياسمين ؟ .. مستحيل .. كيف تكون أمها و هي أكبر منها بعشر سنوات فحسب و ربما أقل ؟.

قطب محمد جبينه ؛ و هتف في حدة :

- و هل هذا معقول يا دكتور ؟ .. قل عشرون عاماً على الأقل ؛ فالست ياسمين لن تتجاوز السابعة عشر بأي حال من الأحوال .

بدا و كأن محمد قد لطم عادل على وجهه في قسوة ؛ فقد ظل يردد في ذهول :

- السابعة عشر .. ياسمين في السابعة عشر .. لا .. مستحيل .

هتف محمد في حيرة :

- تقريباً يا دكتور .. و ربما في السادسة عشر فحسب فبراءتها تجعلها تكاد أن تشبه الأطفال رغم أنها مكتملة الأنوثة .. لكنها جميلة جداً .. نسخة صغيرة و بريئة من ثريا هانم .. لا أحد يمكن أن يراها دون أن يلتفت إلى قوة الشبه .. سبحان الله .

سالت الدموع على وجه عادل ؛ و هو يهتف في مرارة :

- من يستطيع أن يراها يا عم محمد و ليس العميان أمثالي .

عندما توقفت سيارة عادل أمام فيلا المعادي كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل و كانت أعصابه على وشك الانهيار ؛ ظل يطرق باب الفيلا بقبضتيه حتى فتح بيومي و منيرة الباب و هما ينظران إليه في ثورة و غضب و هتفت منيرة :

- كيف تجرؤ على دخول هذا البيت مرة أخرى ؟ .. في حياتي لم أرَ وقاحة لهذا الحد .

هتف عادل :

- أين زوجتي ؟ .. أين ياسمين ؟ .. يجب أن أقابلها حالاً .

هتف بيومي في حدة :

- ليست لك زوجات هنا .. و ياسمين ليست في الفيلا و لا في مصر كلها .. سافرت منذ ساعة إلى سيادة السفير و لن تعود مرة أخرى .

بهت وجه عادل و ترنح و هو يشعر بأنه يكاد أن يفقد وعيه ؛ لا يمكن أن يكون هذا قد حدث فعلاً ؛ ياسمين لن تلجأ إلى والدها بعد كل ما فعله معها هي و جدها .. خاصةً و هي في هذه الظروف .. هتف محمد :

- هيا بنا يا دكتور .. وجودنا هنا الآن لا معنى له .. يكفيك فضائح عند هذا الحد .

هتف عادل في حدة :

- ليس قبل أن أراها .. ياسمين هنا .. أنا واثق .

ثم صرخ بعلو صوته :

- ياسمين .. ياسمين .. امنحيني فرصة واحدة فحسب .. يجب أن تسمعيني

هتفت منيرة في ثورة :

- يا لوقاحتك !! .. ماذا تريد من المسكينة التي سلبتها شرفها و جعلت سيرتها على كل لسان ؟ .. ياسمين لم تعد هنا .. كيف كانت ستعيش هنا بعد ما حدث ؟.

بينما دفعه بيومي إلى خارج الفيلا احتضنه محمد و أعاده إلى السيارة و هو يهتف :

- اهدأ يا دكتور و دعني أعيدك إلى شقتك بدلاً من أن يطلبوا لنا الشرطة ؛ ماذا ستفعل حينئذ ؟ .. البنت قاصر و هذا في حد ذاته مصيبة .

دخل عادل إلى شقته و جلس على أقرب مقعد إليه ؛ و هو يخفي وجهه بين كفيه و جسده ينتفض في انفعال ؛ قبل أن يرفع رأسه فجأة و هو يهتف :

- ادخل إلى المكتب يا عم محمد .. جواز سفري في أول درج على اليمين .. يجب أن أسافر لندن حالاً .

هتف محمد في حيرة :

- هل ستهرب ؟ .. أنت محامي يا ابني و أدرى مني بحكم القانون في مواقعة قاصر و لو برضاها ؛ لكن الهروب ليس هو الحل .. ستخسر سمعتك و مستقبلك و كل ما بنيته في حياتك .. لو كنت مكانك لدافعت عن نفسي و واجهت الجميع .

هتف عادل في مرارة :

- أدافع عن نفسي و عن زوجتي كيف و أنا لا زلت أعمى ؟ .. كيف سأواجه ياسمين و أنا حتى لا أراها ؟ .. كيف سأقف لصحيفة تشهر بي و بزوجتي و أنا عاجز عن قراءة ما تكتبه عنا ؟ .. لو ظللت أعمى ستموت ياسمين مقهورة و أنا عاجز عن حمايتها .. يجب أن أعود عادل سليمان حتى أعرف كيف أضع كل شخص عند حده .

حصل عادل على تذكرة و تأشيرة دخول بأقصى سرعة ممكنة ؛ و ما إن وصل إلى مطار هيثرو حتى وجد أحمد في انتظاره ؛ لم يكن يحمل سوى حقيبة صغيرة من نوع الهاندباج حملها عنه أحمد و هو يهتف :

- حمداً لله على سلامتك .. حجزت لك غرفة بالمستشفى كما طلبت في اتصالك لكنني لا أفهم لما أنت ملهوف على دخول المستشفى بهذه السرعة ؛ مع أنك قد تقاعست من قبل و بدلاً من أن تغادر المستشفى بالقاهرة إلى هنا ذهبت إلى الشاليه .. ماذا بك يا عادل ؟ .. ألا زلت مشوشاً منذ الحادث ؟

هتف عادل في لهفة :

- أريد الخضوع للجراحة بأقصى سرعة .. الآن إن أمكن .. ياسمين تحتاج إلى وجودي و يجب أن أبحث عنها .. و لن أجدها و أنا حتى لا أراها .. أريد أن أستعيد بصري يا أحمد مهما كان الثمن و مهما كان حجم المخاطرة ..

الفصل التاسع

جلست ياسمين في فراشها و هي تضم ركبتيها إلى صدرها بكلتا يديها و جسدها يرتجف و الدموع تنهمر على وجهها في غزارة ؛ لا تستطيع أن تصدق أن الجنة التي فتحت أبوابها أمامها كانت تنتظر ببساطة لتلقيها إلي الجحيم ؛ و لا تعرف كيف يمكن أن يتحول الحلم إلى كابوس و ينهار عالمها بهذه القسوة رأساً على عقب ..

صدق عادل عندما قال أنها مجنونة ؛ فجنونها هذا هو ما ورطهما فيما هما فيه الآن ؛ فهل يستطيع أن يغفر لها جنونها و أبواب الجحيم التي فتحتها عليه ؟ ..

وقفت منيرة عند باب الغرفة و هي تنظر لها في إشفاق ؛ مرت ثلاثة أيام منذ دخلت إلى غرفتها بعد عودتها من الساحل دون أن تكف عن البكاء ؛ البكاء هو الشيء الوحيد الذي تملك أن تفعله ؛ و هي ترى حياتها تنهار دون أن تملك حيلة في دفع هذا المصير ..

تنهدت منيرة في أسى قبل أن تدخل إلى الغرفة و هي تهمس :

- إلى متى يا ابنتي ستظلين على هذا الحال ؟ ..

ظلت ياسمين صامتة و بدا كأنها لم ترها أو تسمعها ؛ فغادرت منيرة الغرفة ؛ و نزلت إلى المطبخ حيث هتف بيومي :

- هل أكلت ؟

ترقرقت الدموع في عيون منيرة و هي تهز رأسها نفياً ؛ قبل أن تهتف :

- لم تأكل و لم تنم و لا حتى تتكلم معي .. البنت مذبوحة و لا أعرف ماذا أفعل لأخفف عنها .. لو ظلت على هذا الحال قد تموت .

هتف بيومي في تردد :

- علينا أن نتصل بسيادة السفير ؛ ربما هو يعرف ماذا يفعل في هذه المصيبة .

هتفت منيرة في حدة :

- لا .. إياك أن تفعل .. يكفي المسكينة ما هي فيه ..

مط بيومي شفتيه هاتفاً في ضيق :

- سيعرف سيعرف .. الفضائح رائحتها تفوح بسرعة و ربما كان من الأفضل لو علم بهذا منا حتى ..

قاطعته منيرة هاتفة :

- أتظن أنه سيأخذها في حضنه و يخفف عنها مصيبتها ؟ .. ليت هذا ما سيفعله لكنت أول شخص يتصل به ؛ لكنه سيلوم المسكينة على ما لا ذنب لها فيه .. البنت منهارة و لن تتحمل بطشه بها الآن .

لم تكن منيرة ترغب في أن تتعرض ياسمين للمزيد من الضغوط ؛ لكنها لم تستطع أن تقف في وجه ثريا عندما أتت إلى الفيلا و أصرت على مقابلة ياسمين ؛ دخلت منيرة إلى الغرفة حيث كانت ياسمين لا تزال تبكي في صمت ؛ و همست :

- ثريا هانم هنا .. تقول أنه لو لم تنزلي لمقابلتها ستصعد هي إلى هنا و لا تريد أن تنصرف .

ارتجفت ياسمين و هي تفكر في أن المرأة التي أتت بها إلى الحياة ثم ألقتها خلف ظهرها

و نسيتها تماماً قد تذكرتها أخيراً ؛ هي لم ترها رأي العين و لا لمرة واحدة من قبل ؛ و بالتأكيد لا ترغب في رؤيتها الآن .. ربما لأنها عندما تنظر إليها لن تشعر بأنها تنظر إلى أمها بل إلى المرأة التي سبقتها إلى حياة الرجل الوحيد الذي أحبته و بسببها خسرته إلى الأبد ..

وقفت ثريا عند باب الغرفة و هي تنظر إلى ياسمين في حسرة قبل أن تهتف :

- أعرف أنكِ لا ترغبين في رؤيتي يا ياسمين لكنني لا زلت أمك و أولى الناس بالوقوف بجوارك و أنتِ في هذه الظروف .

نظرت منيرة إلى ثريا في استنكار ؛ بينما همست ياسمين :

- الآن ؟ .. بعد سبعة عشر عاماً تذكرتِ أن لكِ ابنة و ترغبين في الوقوف معها ؟ .. كيف ستفعلين ؟ .. هل ستأخذيني في حضنك الذي لم يضمني و لا لمرة واحدة في حياتي لأنسى أنك قد انتزعتيني من حضن زوجي ؟ .. حرمتيه عليّ و حرمتيني منه و هدمتِ حياتي ؛ فهل يمكنك أن تعيديه لي ؟ .. هل يمكنك أن

تعوضيني عنه ؟ .. لا .. لا شيء في الكون بأسره يستطيع أن يعوضني عنه .. وجودك في حياتي لن يغنيني عنه ..

زفرت ثريا في حرارة ؛ قبل أن تهمس :

- ياسمين أرجوكِ اسمعيني ؛ أنا و عادل لم ..

هبت ياسمين من الفراش ؛ و هي تهتف في ثورة :

- أنت لستِ أمي .. أنتِ لعنة حياتي .. وصمة عار ظلت تطاردني مهما حاولت الهرب منها .. مغامراتك و غرامياتك و فضائحك لوثت اسمي و سمعتي و جعلتني أختبئ من كل الناس الذين كانوا ينتظرون أن تصبح ابنة الفاسقة فاسقة مثلها و هذا ما فعلتيه بي .. ظللت طوال حياتي أهرب منك حتى وجدتك أمامي .. و كل ما كنت أكافح لأحافظ عليه خسرته بسببك .. أنا أكرهك .. أكرهك من كل قلبي .. منك لله .. منك لله .

غادرت ثريا الفيلا دون أن تنطق بما أتت لتخبرها به ؛ و تركت ياسمين منهارة بين ذراعيّ منيرة التي ما إن فقدت ياسمين وعيها

حتى طلبت لها الطبيب و ظلت بجوارها ؛ و هي تتأملها في حنان و إشفاق .

كانت ياسمين تهذي باسم عادل و هي تتوسل إليه أن يسامحها ؛ عندما اقتحم والدها الغرفة و الغضب يعربد في وجهه ؛ فهبت منيرة واقفة في ذعر و هي تهتف :

- سيادة السفير ؟ .. كيف عرفت ؟

تجاهلها جلال و هو يندفع نحو ابنته و يهزها بعنف ؛ فأسرعت منيرة تحول بينه و بينها و هي تهتف :

- لن تشعر بك .. البنت منهارة و الطبيب حقنها بالكثير من المهدئات و لن تستعيد وعيها بهذه السرعة .. ألا ترى الكانولا التي في يدها ؟ .. ياسمين تحتضر و لن تحتمل بطشك بها .. ثم إن ما حدث لا يد لها فيه .. هي لم تقل لك أن تتزوج امرأة وضيعة مثل ثريا هانم ؛ و لم تجدك بجوارها و هي تتزوج لتفعل مثل أي أب و تسأل عن الشخص الذي ستضع المسكينة عمرها كله أمانة لديه .. قبل أن تحاسبها حاسب نفسك ؛ و حاسب السافلة التي

فعلت هذا بها ؛ و الحيوان الذي استغل براءتها و خدعها .

هتف جلال في حدة :

- تجاوزتِ كل حدودك يا منيرة ؛ كيف تجرئين على الحديث معي بهذه الوقاحة ؟

هتفت منيرة في حدة :

- أجرؤ على أي شيء من أجل ابنتي .. نعم ابنتي .. أنا الأم التي ربتها بينما أنت و أمها غسلتما يدكما منها و كأنها سقطت منكما سهواً في الطريق ؛ و لن أسمح لك بأن تؤذيها .

غادر جلال الغرفة و هو يشتعل غضباً و ظل غضبه يزداد اشتعالاً حتى استعادت ياسمين وعيها في الصباح التالي ؛ جذبها من الفراش و أجبرها على الوقوف عنوة و هو يهتف :

- فاض الكيل يا بنت ثريا .. أهون عليّ أن أدفنك حية بعد الفضيحة التي لوثتِ بها اسمي و سمعتي و ستؤثر على مركزي و مستقبلي لكنني لن أفعل .. سأعطيكِ آخر فرصة .. ستتركين مصر نهائياً و ستسافرين معي ..

ستذهبين معي إلى المصرف الآن لنفك الوديعة و نحولها إلى حسابي و ..

انتزعت ياسمين نفسها من يده و هي تهمس :

- لا .. لن أذهب معك إلى أي مكان .. أنا أكرهك .. أكرهكم جميعاً .. اخرجوا من حياتي و أتركوني في حالي .

ارتمت في حضن منيرة و هي تبكي في انهيار ؛ بينما هتف جلال في ثورة :

- هل بلغت بكِ الوقاحة أن تقولي هذا الكلام لي بعد كل ما فعلتيه ؟ .. ما الذي ستبقين في مصر لأجله ؟ .. عشيقك ؟

انتفضت ياسمين و هي تشعر بأن الكلمة لها وقع مؤلم ذبحها بلا رحمة ؛ لا أحد يستطيع أن يفهم ما بينها و بين عادل خاصةً رجل في قسوة أبيها ؛ و همست :

- اسكت .. حرام عليك .. اسكت .

هتف جلال في ثورة :

- و إذا سكت عن فضيحتك و عارك ؛ هل سيسكت عنا الناس ؟.. الأم و ابنتها عشيقتان لرجل واحد .. شيء مقرف .

هتفت منيرة في لوعة :
- كفى يا سيادة السفير ؛ ألا ترى حالتها ؟

بينما همست ياسمين :
- عادل لم يكن عشيقي .. عادل زوجي .

هتف جلال في قسوة :
- زواج باطل ؛ و عقد زواجك شبه العرفي لا يمنع من أن الجنين الذي في أحشاءك نبت من سفاح .. و لن أسمح أبداً بأن يكون حفيدي ابن حرام .

حدقت ياسمين في وجه أبيها في ذهول ؛ قبل أن تنظر إلى منيرة و تهمس :
- هل أنا حامل يا دادا ؟ ..

تهاوت في حضن منيرة التي بكت في لوعة و هي تومئ برأسها إيجاباً ؛ وضعت ياسمين يدها على بطنها و هي تفكر في أن عادل لم

يعد مجرد حلم تحول إلى كابوس .. لأنه زرع في جوفها نبتة منه ؛ ستأخذها في حضنها و تعوضها عن خسارته أو على الأقل ستواسيها في غيابه .. لكن جلال هتف في حدة :

- ستسافرين معي برغبتك أو رغماً عنك .. على الأقل هناك سيمكن إجهاضك .. زواجي من ثريا هو غلطة عمري لكن الغلطة الأكبر هي أنني أنجبت منها فاسقة مثلك و لن أسمح بأن تتكرر .. هذا الجنين يجب أن يموت .

لا .. إذا كان القدر قد انتزع منها عادل و هي عاجزة عن الدفاع عن حبها ؛ و حقها في هذا الحب ؛ فهي لن تسمح لأحد بأن ينتزع منها ابن عادل ؛ لأنه كل ما تبقى لها منه و هي ليست مستعدة لخسارته مهما كان الثمن حتى لو كان هذا الثمن هو حياتها نفسها .. لذا هتفت فجأة في صلابة :

- مستحيل .. هل تفهم ؟ .. لن أذهب معك لأي مكان و لن أسمح لك بأن تنتزع ابني مني .

جذبها جلال من ذراعها بقسوة و دفعها أمامه لتغادر الغرفة ؛ و هو يهتف :

- ستفعلين كل ما آمرك به ؛ ستذهبين إلى المصرف و تردين لي مالي و ستسافرين معي .. لن أتركك وحدك هنا كما فعلت من قبل .. و ستجهضين الجنين .. على الأقل حتى لا يأتي المسكين للحياة ليتحمل فضيحتك و عارك .

صرخت ياسمين في لوعة :

- قلت لك لن أذهب معك لأي مكان .. لا شأن لك بي .. سافر كما كنت و اتركني لفضيحتي و عاري .

صرخت منيرة في فزع عندما انهال جلال على ابنته ضرباً و هي عاجزة عن أن تمنعه عنها و عندما توقف و غادر الغرفة ضمت ياسمين التي كادت أن تفقد الوعي في حضنها و هي تبكي في لوعة بينما همست ياسمين :

- عادل يا دادا .. عادل .. كلميه أرجوكِ .. قولي له أنني أحببته ولم أقصد أن أؤذيه .. قولي له أنني أحتضر و أتمنى أن أراه قبل أن أموت .. إن لم يكن من حقي أنا و ابني أن نعيش معه ؛ فعلى الأقل من حقنا أن نموت في حضنه .

الفصل العاشر

دخل أحمد إلى غرفة عادل بالمستشفى و هو يهتف :

- أبشر يا أخي العزيز .. د / جورج سينزع الضمادات عن عينيك صباح الغد ؛ و هو متفائل جداً بأن حالتك قد تماثلت للشفاء .

اعتدل عادل جالساً في فراشه ؛ و هو يهتف في لهفة :

- إذاً احجز لي في أول رحلة ستعود إلى القاهرة من بعد صباح الغد .

هتف أحمد في استنكار :

- بهذه السرعة ؟ .. أنت لم ترَ لندن بعد ؛ على الأقل اقضي بضعة أسابيع معي حتى ..

قاطعه عادل هاتفاً في حزم :

- مستحيل .. لا وقت أمامي ؛ يجب أن أعود إلى القاهرة بسرعة من أجل ياسمين ؛ يكفي أنني تركتها تواجه كل هذا وحدها حتى الآن .

هتف أحمد في ضيق :

- انسى ياسمين و ثريا و كل هذا الهم يا عادل و التفت لنفسك .. يكفي ما خسرته بسببهما حتى الآن .. ياسمين هذه فتاة وضيعة كأمها و لا تستحق أن تفكر فيها .. لو قرأت ما كتب عنها ..

قاطعه عادل هاتفاً :

- كذب .. كله كذب .. ياسمين لم تكن تعلم عن زواجي من ثريا و لقاؤنا كان قدراً ليس لأحدنا يد فيه .. أنت لا تعرفها مثلي يا أحمد .. ياسمين بريئة و هشة و لا أعرف كيف تواجه صدمتها بي ؛ لن ألومها إذا ندمت على حبها لي أو كرهتني .. كانت في غنى عن كل هذا العذاب و لن أتركها تواجه كل هذا وحدها أكثر من هذا .. سأعود إليها بأقصى سرعة .

كان واثقاً من أن بيومي و منيرة قد كذبا عليه و أنها لا تزال موجودة في مصر و إن لم تكن في الفيلا فهي حتماً في مكان تعرفه منيرة و يجب أن تخبره به ؛ هو واثق من أنها لن تلجأ لأبيها و لا لأمها خاصةً و هي في هذه الظروف ..

و في الطريق الطويل من لندن إلى القاهرة جلس عادل يقرأ ما جاء في الصحيفة و هو يغلي في غضب ؛ قبل أن يغادر المطار في سيارته التي يقودها محمد و هو يهتف :

- خذني إلى فيلا المعادي فوراً يا عم محمد .. يجب أن أواجه ياسمين قبل فوات الأوان .

لم يكن يعلم أن ياسمين قد ارتمت في فراشها و الدم الذي يسيل من جسدها يحملها بخطى حثيثة إلى عالم آخر قد يكون أكثر رحمة و عدلاً معها بعد كل ما مرت به ؛ تركتها منيرة و اندفعت تنزل إلى الردهة و هي تهتف في فزع :

- اطلب الاسعاف يا سيادة السفير .. ياسمين تنزف بشدة ..

ظل جالساً على الأريكة و هو يدخن سيجاراً في برود ؛ فصرخت في ثورة :

- ألا تسمعني ؟ .. البنت ستموت .

نفث دخان سيجارته ؛ قبل أن يهتف في برود :

- فلتمت .. خير لها أن تفعل .. لو كانت لديها ذرة دم واحدة لقتلت نفسها بعد الفضيحة التي سرت على كل لسان .

طرق عادل جرس الفيلا في إصرار ؛ فأسرع بيومي يفتح الباب و ما إن فعل حتى هتف عادل في حسم :

- لا تنكر أن ياسمين موجودة .. قابلت حسين في الجنينة و هو أكد لي على أن سيادة السفير أيضاً موجود .. أريد أن أقابله .

هب جلال واقفاً و اندفع نحوعادل و هو يهتف :

- أهو أنت ؟ .. كيف تجرؤ ؟...سأ.....

صرخت منيرة في لوعة :

- انقذ ياسمين قبل أن تموت .. إنها تنزف في غرفتها و هذا الظالم لا يريد أن يسعفها .

حاول جلال أن يمنع عادل من دخول الفيلا لكن عادل لكمه بقوة و دفعه بعيداً قبل أن يقفز الدرج مندفعاً نحو غرفة ياسمين قبل أن يقتحم الغرفة ..

بكى قلبه في لوعة عندما وجدها فاقدةً للوعي و هي للموت أقرب منها إلى الحياة قبل أن يحملها و يسرع بها إلى المستشفى و منيرة معه ..

لوقتٍ طويل ظل كلاهما واقفاً أمام غرفة العمليات و منيرة تحكي له كل ما حدث قبل أن يخرج الطبيب الذي هتف :

- للأسف نزفت كثيراً و حالتها لا تزال حرجة .. ادعو لها .

وقف عادل بجوار فراشها و هو يتأملها في لوعة و الدموع تسيل على أهدابه ؛ يستطيع الآن أن يرَ كم هي صغيرة و جميلة و مجروحة ؛ سنوات عمرها السبعة عشر كانت تحفر على وجهها خطوطاً عميقة من الحزن و الوحدة .. و رغم أنها كانت شاحبة كالموتى لكنه كان يرى في وجهها براءة و جمال لا يمكن إنكارهما ؛ كانت هذه هي جنية البحر التي اقتحمت حياته ذات ليلة و جعلت شمس عمره تشرق من جديد ..

- عادل .. سامحني .. عادل .. عادل ..

ظلت تهذي باسمه حتى بدأت تستعيد وعيها في بطء ؛ فتحت عيونها و رأته جالساً على طرف فراشها و هو ينظر لها بعيون تملأها الدموع و تفيض بالحب و الحنان ؛ لا تصدق أنها لازالت على قيد الحياة لكنها تعرف جيداً أن هذه الحياة لم يعد لها قيمة و لا معنى ؛ فقد خسرت جنينها كما خسرت حبيبها و لم يعد لديها ما تعيش عليه أو لأجله .. أتى صوتها ضعيفاً و هي تهمس :

- ليتك تركتني أموت .

هتف عادل في حرارة :

- كيف أفعل و حياتك عندي أغلى من الدنيا و ما فيها ؟

أجهشت بالبكاء و مدت يديها تتشبث بكتفيه فجذبها إلى صدره و ضمها بشوقٍ و لهفة و هو يهتف :

- إياكِ أن تهربي مني مرة أخرى ؛ هل فهمتِ ؟ .. الحياة كالجحيم بدونك .

تعرف أنه محق فكل لحظة قد عاشتها منذ تركته مهجوراً على الشاطئ كانت جحيماً لا

يطاق ؛ لكن ماذا بيدها أن تفعل إذا كان الجحيم هو القدر الذي لا يمكنها الفرار منه ؟ .. لذا سحبت نفسها من بين يديه ببطء و هي تهمس :

- لكنه قدرنا و سنحاول أن نصبر عليه .

حاولت أن تكتم صوت نحيبها حتى لا يصل إلى أذنيه ؛ حاولت أن تتظاهر بالتماسك لكن قلبها المحطم لم يعطها الفرصة لهذا ..

الرجل الوحيد الذي ملك قلبها و جسدها و كانت تتمنى أن تعيش عمرها كله بين أحضانه على بعد خطوة واحدة منها و هي تشعر بأن العالم بأسره يحول بينهما ..

قربه منها الآن يمزق قلبها بأكثر مما كان يفعل بعده عنها .. كانت تتعذب و كان عادل يرى عذابها في عينيها و يشفق عليها مما تعانيه .. تنهد في حرارة قبل أن يهمس :

- ياسمين .. أنتِ المرأة الوحيدة التي أحببتها في حياتي و لو لم أكن أرى دموعك كنت سأحس بها .

شهقت و هي تهمس في لوعة :

- هل تراني ؟

ابتسم عادل و هو يهتف :
- أخيراً .. سافرت و خضعت للجراحة التي أخبرتك عنها .. لم تكن نسب النجاح جيدة لكنني كنت محظوظاً .

تدفقت دموعها و هي تهتف :
- هل أنت حقاً تراني ؟ .. و هل ترى فيما كذبت عليك ؟ .. لو كانت بشرتي زرقاء لكان هذا أهون من أن تراها كلما نظرت إلي وجهي .. لكنني لم أقصد خداعك .. كذبتي الصغيرة هي التي أوصلتني إلى هنا الآن ؛ لكنني لست تلك الفاسقة التي يتحدثون عنها .. أقسم لك .

كانت تنتفض من فرط الانفعال فأسرع عادل يضمها إلى صدره و هو يهتف :
- كفى يا ياسمين ؛ أرجوكِ .. لستِ في حاجة للدفاع عن نفسك أمامي فأنا لا ألومك على أي شيء .. و لا أرى الفتاة التي يتحدث عنها الناس بل أرى حبيبتي .. أراها بقلبي .

مسح الدموع عن وجهها و هو يردف :

- أنتِ أجمل ما في حياتي يا ياسمين و للأسف أنا أكبر حماقة ارتكبتيها في حياتك .. كان عليك التفكير ألف مرة قبل ارتباطك بي ففرق السن بيننا مخيف .. أنا في مثل سن والدك يا ياسمين .

نكست رأسها و هي تهمس :

- كنت أحبك و بدا هذا كافياً بالنسبة لي .

ابتسم عادل و لمس ذقنها برقة ليرفع رأسها و هو ينظر إلي عينيها هاتفاً :

- كنتِ ؟ .. ما معني كنتِ هذه ؟ .. ألم يعد هذا الحب موجوداً بعد ؟

أجهشت بالبكاء مرة أخرى ؛ و هي تهتف في لوعة :

- ارحمني يا عادل .. أنت تعرف أنني لم و لن أحب سواك ؛ لكن هذا الحب لم يعد من حقي .. حبي لك خطيئة لن يغفرها الله لي لأنني لن أستطيع أن أندم عليها .. لا أستطيع أن أندم على الشيء الوحيد الذي أسعدني طوال حياتي .

زفر عادل في حرارة ؛ قبل أن يهتف في ضيق :

- يا الله !! .. ظننت أنكِ تثقين بي أكثر من هذا يا ياسمين .. ظننت أنكِ صدقتيني عندما قلت لكِ أنني لم ألمس ثريا في حياتي قط .. ياسمين .. أنتِ أول امرأة في حياتي ؛ ثريا مجرد نزوة أو حماقة دفعت ثمنها غالياً جداً .. كنت مفتوناً بها و كانت سعيدة بالمغفل الذي لا يستطيع أن يرَ حقيقتها .. عندما عقدنا قراننا كنا قد اتفقنا على أن نؤجل الزفاف حتى تنتهي من تسجيل أغنيات فيلمها الجديد و نسافر إلى لندن لقضاء شهر العسل ؛ فذهَبت إلى شقتها و عدت إلى بيتي .. لكنني كنت ولهاناً حتى أنني ذهبت إليها في نفس الليلة .. فكرت في أن أحاول إقناعها بنقض اتفاقنا لأنني كنت أتوق إليها .. و عندما حاولت خادمتها إيهامي بأنها ليست موجودة سمعت صوت ضحكتها يرن في غرفة النوم .. و عندما رأيتها في حضن عشيقها طار صوابي .. هجمت عليها و كدت أن أخنقها بيديّ لولا أنه ضربني على رأسي بتحفة معدنية و فقدت بصري .. طلقتها دون أن ألمسها .. أقسم لكِ يا ياسمين على أنني لم

ألمسها ؛ لا قبل العقد و لا بعده .. أنا حتى لم أقبلها و لا لمرة واحدة في حياتي .

انتابها شعور بالراحة رغم أنها تعرف أن كل الطرق بينهما مقطوعة ؛ و همست في لوعة :

- أصدقك يا عادل ... أصدقك .. طالما كنت أصدقك .. لكن ماذا يغير هذا ؟ .. أنت طليق أمي و هذا يحرمك عليّ و أنا لا أتخيل أن أعيش حياتي بدونك .. ليتك تركتني أموت لكان هذا أهون .

تنهد عادل في حرارة و أحاط وجهها بكفيه و هو يهتف :

- أنا طليق أمك الذي لم يدخل بها قط و هذا لا يحرمك عليّ .

نظرت إليه في قليلٍ من الشك و في كثيرٍ من الحيرة ؛ قبل أن تهمس :

- حقاً ؟ .. هل أنت واثق ؟

ابتسم عادل و ضمها إلى صدره و هو يهتف :

- طبعاً يا حبيبتي .. هل نسيتِ أنني محامي ؛ و الشريعة أساس دراستي ؟ .. عموماً .. عندما

يسمح الطبيب بخروجك من المستسفى سآخذك لدار الفتوى لتسمعي هذا بنفسك .

انهمرت دموع الارتياح على وجهها ؛ و هي تغمر وجهها في دفء صدره و تهمس :

- أتعني انك لازلت زوجي يا عادل ؟ .. زواجنا ليس باطلاً كما يقول أبي .

أمطر وجهها بالقبلات قبل أن يهتف :

- و ما يبطله يا حبيبتي ؟ .. زواجنا تم بإيجاب و قبول و و وليّ و شهود و مهر و مؤخر صداق و تم توثيقه على يد مأذون شرعي و لا يوجد مانع شرعي يطعن في صحته .. صحيح أننا لن نحصل على وثيقة زواج مشهرة من المحكمة قبل بلوغك الثامنة عشر لكن هذا إجراء معهود و يتم في عشرات الزيجات كل يوم خاصةً في الريف و الصعيد .

هتفت ياسمين في لهفة :

- و أنت لن تتركني وحيدة .. قل أنك لن تتركني أبداً يا عادل .

هتف في صدق :

- أفضل أن أموت على أن أعيش للحظة واحدة بدونك .. أنت أعز و أغلى ما في حياتي يا ياسمين .. بل أنتِ حياتي كلها .

اندست في دفء صدره و هي تهمس :

- و لا أحد سيستطيع أن يفرق بيننا .. حتى أبي ؟

زفر عادل في حرارة ؛ و هو يحيطها بذراعيه هاتفاً :

- والدك موقوف رهن التحقيق يا ياسمين .. أنا أبلغت عما فعله بك و قتله لابننا ؛ و سأرسل صورة التحقيقات إلى وزارة الخارجية ليعيدوا النظر بشأنه .. لكنني سأتنازل عن المحضر إذا كانت هذه رغبتك .

همست في لوعة :

- كل ما أريده هو أن يعود إلى حياته و يتركني في حالي ؛ لا أريد أن أراه أبداً بعد الآن .. أنا لن أنسَ الكلام البشع الذي قاله عن ابني .

مسح عادل بيده على شعرها ؛ و هتف في حرارة :

- أقسم على أن أنتقم لكِ من كل من أساءوا إليكِ يا حبيبتي .. تلك الصحيفة سأغلقها و ذلك الصحفي الأفاق سألاحقه حتى أسجنه .. حتى لو قضيت حياتي كلها في السعي وراء هذا .

انتزعت نفسها من بين ذراعيه ؛ و هي تهتف في لهفة :

- عادل .. دعنا نعود إلى جنتنا .. فلا زالت السعادة تنتظرنا هناك .

اتسعت ابتسامته و هو يهتف في ثقة :

- أعدك بأن تكون السعادة هي الرفيق الوحيد لنا من الآن و حتى آخر العمر .

و قد أوفى بوعده في كل يومٍ من أيام حياتهما على مر السنين و أبداً .. أبداً .. لم يتركها وحيدة .